

جامعة قطر

كلية الآداب والعلوم

تلقي التراث اللغوي العربي في الكتابة التوليدية في الثقافة العربية
نماذج مختارة

أعدت بواسطة

شاهرة سعد القحطاني

قدّمت هذه الرسالة كأحد متطلبات

كلية الآداب والعلوم

للحصول على درجة الماجستير في

اللغة العربية وآدابها

يناير 2019م

© 2019 م. شاهرة سعد القحطاني. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالب/ة شاهرة سعد القحطاني بتاريخ 4 ديسمبر 2018م ، وُفِّقَ عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه .وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزء من امتحان الطالب.

حافظ إسماعيلي علوي
المشرف على الرسالة

مبارك حنون
مناقش

محروس بريك
مناقش

عمرو مذكور
مناقش

عمر لحسن

تمّت الموافقة:

الدكتور راشد أحمد الكواري، عميد كليّة الآداب والعلوم

المُلخَص

شاهرة سعد القحطاني، ماجستير في اللغة العربية وآدابها:

يناير 2019م.

العنوان: تلقي التراث اللغوي العربي في الكتابة التوليدية في الثقافة العربية

نماذج مختارة

المشرف على الرسالة: حافظ إسماعيلي علوي

إن اقتراح بديل لأصل دأب الناس عليه ليس بالأمر السهل استساغته وتقبله، وهذا ما أدى إلى ظهور صراع بين التراث اللغوي العربي واللسانيات المعاصرة، فظهرت في سماء البحث اللساني أعمال انغلقت على التراث اللغوي العربي وأخرى انفتحت على اللسانيات وآخر منغلق على اللسانيات منفتح على التراث، وهناك ما هو منفتح على اللسانيات والتراث معا. وكانت مهمة إعادة النظر في التراث اللغوي العربي مهمة ضرورية لتسوية مشروع اللسانيات في الثقافة العربية، ومن أدق المهام التي واجهت هذا العلم، فقد حاول العديد من الباحثين العرب والمعاصرين الربط بين التراث اللغوي العربي بالدراسات اللسانية الحديثة .

ويكشف هذا البحث عن اتجاهات الكتابة التوليدية في الثقافة العربية، وتجليات التقريب بين المصطلحات التراثية والمصطلحات التوليدية، معرجا في سبيل ذلك على التعريف بالتراث وصوره وأهميته وأهدافه، ثم التعريف باللسانيات التوليدية، وذكر منطلقاتها الفلسفية والعلمية، وبيان موقفها من التصنيف والفرضية، ويقدم البحث محاولة تقييمية تناولت نماذج من الكتابة التوليدية بالتحليل والنقد، ليُختم البحث بخلاصات واستنتاجات.

الكلمات المفتاح : اللسانيات – اللسانيات التوليدية – الكتابة اللسانية التوليدية الحداثيّة – الكتابة

اللسانية التوليدية التراثية- التراث اللغوي العربي...

شكر وتقدير

من باب العرفان بالفضل أبدأ عملي بالشكر والامتنان، وإن كانت كلمات الشكر تقف حائرة أمام تلك القوى الخفية التي وقفت لتساندني لإنجاز هذا العمل، فكل الشكر والتقدير والعرفان إليكم جميعاً،

ولأستاذي المشرف سعادة الأستاذ الدكتور (حافظ إسماعيلي علوي) شكر خاص على نصحه وتوجيهه، وتتبعه الدقيق لمسار هذا البحث، مذ كان فكرة أولية حتى أصبح واقعاً..

والشكر موصول إلى كل أساتذتي في القسم، والسادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم مناقشة عملي هذا وإثراءه بملاحظاتهم الوجيهة وتوجيهاتهم السديدة.

الإهداء

إلى تلك الأرواح الطاهرة أبي وأخي....
إلى أُمي الحبيبة أطل الله في عمرها لتبقى نورا ينير دربي...
إلى زوجي الغالي سندي وذخري في الحياة...
إلى فلذات كبدي وقرة عيني ...
إليهم جميعا أهدي ثمرة جهدي وفاءً وعرفانا ...

فهرس المحتويات

د	شكر وتقدير
هـ	الإهداء
1	المقدمة
1	الفصل الأول: حدود وتعريفات
2	توطئة:
2	المبحث الأول: ما التراث اللغوي العربي؟
	1. ماذا يقصد بـ"التراث اللغوي العربي" تحديدًا؟ 3
	2. الدراسات اللغوية عند العرب وسؤال النشأة: 8
	3. أهداف الدراسات اللغوية عند العرب: 9
11	المبحث الثاني: ما اللسانيات التوليدية؟
14	1. منطلقات اللسانيات التوليدية:
14	1.1. الأصول الفلسفية للسانيات التوليدية:
17	2.1. المنطلقات العلمية:
	2. موقف اللسانيات التوليدية من التصنيف والفرضية: 17
	3. تطور النماذج التوليدية: 19
27	خلاصة:
28	الفصل الثاني: التراث اللغوي العربي في الكتابة التوليدية العربية الحديثة
29	توطئة:
29	المبحث الأول: الكتابة اللسانية التوليدية الحديثة:
30	1. الاتجاه الرافض للتراث:
34	2. الاتجاه الداعي إلى التراث:
47	المبحث الثاني: التراث اللغوي العربي في الكتابة اللسانية التوليدية الإيديولوجية:
48	1. مسوغات التقريب وأهدافه:
51	2. من مظاهر التقريب بين التراث اللغوي العربي واللسانيات التوليدية الحديثة:
55	2.2.1 الأصل والفرع:
56	2.2.2 البنية العميقة والبنية السطحية:
58	2.2.3 التحويل:
59	2.2.4 التفسير:
60	2.2.5 التوليد:

60	2.2.6 العامل:
61	2.2.7 القدرة:
63	2.2.8 قواعد إعادة الترتيب:
64	2.2.9 قواعد الحذف:
65	2.2.10 قواعد الزيادة أو الإقحام:
66	2.2.11 النحو والتركيب:
67	2.2.12 النحوية والمقبولية:
69	خلاصة:
70	الفصل الثالث: التراث اللغوي العربي في الكتابة التوليدية: محاولة تقييم
71	توطئة:
72	المبحث الأول: بحث في منطلقات القراءة وخلفياتها
79	المبحث الثاني: المنطلقات المنهجية
85	خلاصة:
87	الخاتمة
88	قائمة المصادر والمراجع

المقدمة

بسم الله القائل في محكم التنزيل "إنا أنزلناه قرآناً عربياً لقوم يعقلون" والحمد لله حمداً يليق بجلال وجه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على من بُعث بلسان عربي يدعو إلى الحق المبين عليه أزكى وأطيب تسليم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

يشكل التراث اللغوي العربي إرثاً وأثراً باقياً على مر الزمان، لا نقول هذا مغالاة أو مبالغة؛ فجميعنا يعرف قيمته وحضوره في الذاكرة الجمعية للأمة، ولكن يجب أن نحاول إبراز هذه القيمة لا بالمبالغة في التأويل والاستنباط وإسقاط مفاهيم لسانية عليه، بل بالإفادة من النظريات اللسانية الحديثة في إعادة النظر إلى تراثنا اللغوي لفهم اللغة العربية بشكل أفضل.

لقد شيد اللغويون العرب صرحاً عظيماً من خلال جهود تضافرت لوضع قواعد العربية أصواتاً وصرفاً ونحواً ودلالة، وبالعودة إلى هذا الصرح يمكننا تجسير الهوة بينه وبين الدرس اللساني الحديث؛ وذلك بإعادة قراءته في ضوء النظريات اللسانية الحديثة، شريطة ألا يكون الربط بين التراث اللغوي العربي والدرس اللساني الحديث قائماً على الإسقاط والقراءات الضوئية.

لقد تعددت الكتابات اللسانية في الثقافة العربية، وظهرت اتجاهات مختلفة تناولت قضايا من اللغة العربية متعددة، ومن أبرز تلك الاتجاهات وأشهرها: الاتجاه الوصفي، والاتجاه التوليدي، والاتجاه الوظيفي، وقد اختلفت هذه الاتجاهات في نظرتها إلى التراث اللغوي العربي، وفي تعاملها مع تحليلات اللغويين العرب، وسنحاول في بحثنا هذا أن نخص بالحديث الكتابة اللسانية التوليدية.

لقد شكلت مسألة التراث والحدثة إشكالية أزلية في الثقافة العربية، نتج عنها صراع مستمر بين متشبه بالقديم ومنفتح على الجديد، وبما أن الكتابة التوليدية في الثقافة العربية ضرب من ضروب الثقافة الحديثة فقد تأثرت بهذا الصراع، فأفرز ذلك مواقف متباينة من التراث؛ بين رافض له، و متمسك به، وداع إلى اتخاذ موقف بيني بينه وبين اللسانيات.

وقد كان وراء اختيارنا لهذا الموضوع حوافر ذاتية وأخرى موضوعية. ترجع الحوافر الذاتية إلى ما راكمنه من خلال قراءات سابقة في مواضيع متفرقة حول التراث اللغوي العربي خلال فترة التكوين في سلك الماجستير، وهذا ما فتح أعيننا على البحث في هذا الموضوع، وبتشجيع من أستاذي المشرف الذي وجه هذه الرغبة نحو طريقها البحثي الصحيح، وأما الدوافع الموضوعية فتكمن في محاولة تتبع واقع البحث التوليدي في الثقافة العربية، وكيف استقبله الباحثون العرب، ورصد مواقفهم المتباينة حوله. وسنسى من خلال بحثنا هذا إلى الإجابة عن السؤال الإشكالي الآتي: ما هي

أهم مظهرات التراث في الكتابة التوليدية العربية الحديثة؟

ويتفرع من هذا السؤال الإشكالي عدة أسئلة أخرى:

- ما التراث اللغوي العربي ؟
- ما اللسانيات التوليدية ؟ وما مراحل تطورها؟
- ما مظاهر التقريب بين التراث اللغوي العربي واللسانيات التوليدية على مستوى الأفكار والمصطلحات؟

وللإجابة عن هذا السؤال سلطنا في بحثنا المنهج الوصفي الذي يقوم على الوصف والتحليل؛ وذلك بعرض المعطيات فشرحها ثم تحليلها حتى نتمكن من تكوين صورة موضوعية عن الموضوع.

وقد انتظم البحث في ثلاثة فصول، تتصدرها مقدمة عامة عرضنا فيها الإطار العام للدراسة وتوضيح أهدافها، وحوافزها، والمنهج المتبع فيها، وكذلك الصعوبات التي واجهتها، وختمناها بالدراسات السابقة لها.

جاء الفصل الأول لعرض بعض المفاهيم المفاتيح التي تؤطر البحث. وقد توزعت محتويات هذا الفصل على مبحثين أساسيين، مهدنا لهما بتوطئة، خصصنا أولهما للإجابة عن سؤال: ما التراث اللغوي العربي؟ وأما ثانيهما فهو محاولة للإجابة عن سؤال: ما اللسانيات التوليدية؟

وجاء الفصل الثاني حديثاً عن التراث اللغوي العربي في الكتابة التوليدية الحديثة، وقد مهدنا له بتوطئة عن حضور التراث اللغوي العربي في اتجاهات البحث اللساني الحديث، وتوزع محتواه على ثلاثة مباحث؛ كان المبحث الأول عن الكتابة التوليدية الحديثة، وجاء المبحث الثاني عن الكتابة التوليدية الإيديولوجية، وقد عرضنا فيهما لنماذج من أعلام اللسانيات التوليدية في الثقافة العربية. وأما المبحث الثالث فخصصناه لأهم تجليات مسوغات التقريب بين التراث اللغوي العربي واللسانيات التوليدية، على مستوى الأفكار والمصطلحات.

فأما الفصل الثالث والأخير فهو تقييم لما عرضنا له سابقاً. وذيّلنا البحث بخاتمة بسطنا فيها أهم نتائج البحث والآفاق التي يفتحها.

ولقد واجهتنا في إنجاز بحثنا هذا مجموعة من الصعوبات والعوائق لعل أبرزها كثرة المادة وتنوعها، وتعدد مواقف بعض اللسانيين من التراث اللغوي العربي وتباين آرائهم حوله؛ فكثيراً ما وقفنا على مواقف مختلفة للباحث نفسه في الدراسة نفسها، وأحياناً في دراساته المختلفة، ومن تلك الصعوبات أيضاً اختلاف ترجمات المصطلحات التوليدية وتعددّها.

ورغم ذلك فلم نأل جهداً في تجاوز تلك الصعوبات وتذليلها بفضل الله جل شأنه ثم بفضل أستاذي المشرف الذي عمل جاهداً على توجيهي وتوفير المراجع الضرورية التي ساعدت كثيراً على إثراء البحث وتجاوز الصعوبات المطروحة. ولا يدعي هذا البحث أنه جديد كلياً في بابهِ؛ فقد سبقنا إلى طرق هذا الموضوع مجموعة من الباحثين ويمكن أن نشير هنا إلى بعض منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، دراسات نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية.
- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية: دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالات
- لكن تلك الدراسات والأبحاث عالجت الموضوع في إطار حديث عام عن اللسانيات العربية الحديثة بكل اتجاهاتها؛ فأفردت للسانيات التوليدية فصلاً من الفصول، أو خصته بمبحث من المباحث، ولذلك جاء بحثنا ليخص الموضوع بدراسة مستقلة كاملة. وأخيراً هناك توضيحات لا بد منها:
- سيلاحظ القارئ كثرة الاقتباسات، وهذا طبيعي جداً بالنظر إلى طبيعة الموضوع، حتى نثبت بالدليل ما هو موجود بعيداً عن التأويلات، والادعاءات التي تفتقر للدليل،
- فضلنا أن نكتفي في الهوامش بالإشارة إلى اسم المؤلف، وعنوان الكتاب أو المقال أو الدراسة، ورقم الصفحة، وقد أثبتنا بيانات المرجع كاملة في قائمة المصادر والمراجع.

وفي الختام أقول، لقد شكل هذا العمل محاولة للكشف عن مظاهر العلاقة بين التراث اللغوي العربي واللسانيات التوليدية، وهي محاولة لا ندعي لها الكمال، فحسبنا أننا اجتهدنا ما وسعنا الجهد، وبالله التوفيق

الفصل الأول: حدود وتعريفات

- توطئة
- المبحث الأول: ما التراث اللغوي العربي؟
- المبحث الثاني: ما اللسانيات التوليدية؟

توطئة:

حظيت اللغة بالدراسة منذ أقدم العصور، فمن الطبيعي أن يهتم الإنسان بالوسيلة التي يعبر بها عن نفسه، ويتواصل بها مع أبناء جنسه بسهولة ويسر، وما لبث هذا الاهتمام أن تطور وزاد وانتظم تحت مسمى الدراسات اللغوية. وقد كان للكتب السماوية والديانات المختلفة الدور الأكبر في زيادة الاهتمام باللغة مكتوبة كانت أم منطوقة؛ فقد تكاثفت جهود العلماء خدمة لتلك الكتب، فأسهم ذلك في تراكم جهود اللغويين عبر الحقب إلى أن ظهرت اللسانيات، التي كان ظهورها نتيجة لهذا التراكم المعرفي الكبير الذي عرفته الإنسانية، والذي أسهمت فيه الحضارة العربية الإسلامية بحظ وافر إلى جانب حضارات أخرى؛ إذ يعد التراث اللغوي العربي منعطفا كبيرا في مسيرة التراث اللغوي العالمي، وهذه حقيقة علمية مثبتة تاريخيا، إلى درجة جعلت أحد الباحثين يرى أنه لو التفت الغرب إلى التاريخ اللغوي التراثي العربي لكان علم اللسانيات الحديث في مرحلة متقدمة عن الزمن الذي هو فيه¹؛ لأن جهود علماء العرب القدامى ومؤلفاتهم الكثيرة في مجال البحث اللغوي منذ بداية الحركة العلمية التي قامت في القرن الثاني للهجرة، هي من أعظم ما عرفته البشرية على امتداد عصورها الحضارية، فقد أورثوا لنا ذاك التراث الزاخر الذي يمتاز بالفكر الأصيل، والإنتاج الغزير، والتحليل العميق، والمناهج الدقيقة، والاتجاهات المتنوعة

المبحث الأول: ما التراث اللغوي العربي؟

أُخذ أصل كلمة "التراث" في اللغة من مادة (و. ر. ث)، التي تدور معانيها حول حصول المتأخر على نصيب مادي أو معنوي ممّن سبقه، فالتراث: الميراث والتاء فيها منقلبة عن واو؛ كالتخمة والوخمة، وهو كل ما يُخلفه الرجل لورثته.

ويعني التراث بمعناه العام ما خلفه لنا أسلافنا من عقائد وعلوم ومعارف، وثقافات وعادات وتقاليد، وتجارب وخبرات، وآثار وفنون...، لكن ما يعنينا في هذا

¹ مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، ص20.

المقام هو التراث الفكرى، المتمثّل في الآثار المكتوبة التي حَفَظها التاريخُ كاملةً أو مبتورة، فوصلت إلينا بأشخاصها، وهذا التراث ليس له حدود تاريخيّة معيّنة، فكلُّ ما خلّفه مؤلّفٌ من إنتاج فكرى بعد حياته يُعدُّ تراثاً فكريّاً، وعليه فهو: كلُّ ما وصل إلينا مكتوباً في أيِّ فرع من فروع العلوم والمعارف¹.

فتراث أيِّ أمة هو تاريخُها وكيانها، وأمة بلا ماضٍ أمة بلا حاضر، وبلا مستقبل، والحفاظُ على التراث وعلى التاريخ هو الحفاظ على الكيان والهويّة، وعلى الخصوصيّة التي منحناها وجودنا بوصفنا أمة، وهو الحفاظ على السبيل الذي يضمن استمرارنا ونهضتنا من غفوتنا.

وكما أنّ الوطن هو المهد الأوّل -بعد التوحيد- للإنسان، يحنُّ إليه كلّما بُعدَ به المطافُ في بلاد الله، ويشعرُ في قرارة نفسه بحبِّه، ويدين له أبداً بالإعزاز مهما أغرته المغريات، وباعدتْ بينه وبين أرضه ضروراتُ العيش، كذلك يُعدُّ التراثُ الفكريُّ هو المهد الأوّل لتفكيره ولنفسه، وأيُّ انفكاك بين المرء ودينه أو وطنه، أو بين المرء وتراثه -يخلق منه امرءاً تتجاذبه أطرافُ الضياع، وفقدان النفس؛ وضياعُ النفس مدعاةٌ إلى التفكُّك والتخلُّل، والشُّعور بالبؤس والمذلة اللَّتَيْن لا تطيب معهما الحياة².

1. ماذا يقصد بـ"التراث اللغوي العربي" تحديداً؟

عندما نتحدث عن التراث اللغوي العربي فإنه عادة ما يتبادر إلى الذهن أن المقصود بهذا التراث هو أعمال النحاة العرب ودراساتهم حول اللغة العربية، والحقيقة "أن التراث اللغوي العربي هو أشمل وأوسع مما قدمه النحاة العرب -أمثال الخليل بن أحمد وسيبويه وابن يعيش وغيرهم- فهذا التراث هو كل عمل عربي وضعه العرب

¹ انظر: عبد السلام هارون، التراث العربي، ص3-5، ورمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث، ص8.

² ينظر: عبد السلام هارون، التراث العربي، ص14.

القدماء من أجل تفسير النص القرآني¹؛ وهذا يعني أنه ينضوي تحت لواء هذا التراث كل ذاك الكم المعرفي الهائل الذي خلفه لنا الأسلاف من عقائد وعلوم ومعارف وثقافات وآثار وفنون وعادات وتقاليد...، ولكن ما نحن بصدد الحديث عنه هنا هو ذلك التراث الفكري، الذي نستقيه من تلك الآثار المكتوبة التي بقيت، ووصلت إلينا موسومة بأسماء كتّابها، مكتملة كانت أم مبتورة، وهذا التراث بلا حدود تاريخية تعينه وتحدّه، فكل ما خلفه مؤلف من إنتاج فكري بعد حياته يكون تراثاً فكرياً، وعليه فإن التراث اللغوي العربي هو: كل ما وصل إلينا مكتوباً في أي فرع من فروع العلوم والمعارف².

يستفاد من هذا التحديد أننا إذا أردنا إعادة تركيب التراث اللغوي العربي فإنه ينبغي أن نبحث في المصادر التالية: كتب النحو والشروح التي تناولته (النحويات) وكتب التجويد وفق قراءة القرآن الكريم (الصوتيات)، وكتب البلاغة (الدلايات) وكتب الفلسفة والمنطق، وكتب التفاسير القرآني، وكتب التفاسير النبوية ودواوين العرب الشعرية والنثرية والشروح التي تناولتها كتب الموسوعات المعرفية المختلفة التي كتبها عظماء الكتاب العرب أمثال الجاحظ وابن عبد ربه وابن حزم الأندلسي وغيرهم، وكتب المعاجم واللغة كما هي الحال عند ابن منظور وابن فارس والأصمعي والقيلي وغيرهم، وكتب التاريخ كما هي الحال عند الطبري وابن خلدون³.

وقد عرض عبد السلام المسدي لهذه المصادر بالكثير من التوسع، من خلال حديثه عن أركان التراث اللغوي التي وجدها متنوعة مذهباً واختصاصاً:

أولاً: التراث اللغوي عينه متمثلاً في علوم اللسان عامة ويتشعب هذا التراث إلى

جملة من الفروع هي:

¹ مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، ص20.

² عبد السلام هارون، التراث العربي، ص3-5.

³ مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، ص20.

■ **كتب النحو** بمفهومه الواسع ويشمل قواعد التركيب وبنية الكلمة وخصائص الحروف كما هو محدد عند سيبويه في كتابه.

■ **أصول النحو**؛ وبها يتجاوز الباحث البحث في أنظمة اللغة إلى البحث في مؤسساتها المبدئية، ولعل أهم هذه الأصول (خصائص) ابن جني و(لمع الأنباري) و(الإيضاح) للزجاجي و(الصاحبي) لابن فارس.

■ **كتب البلاغة** التي تعد من أغزر الموروثات اللغوية وهي تأتي على أضرب مختلفة فمنها:

الجانب الفني: كبديع ابن المعتز وبديع ابن منقذ وبرهان ابن وهب ومفتاح السكاكي وغيرها.

الجانب النقدي الأدبي: كعمدة ابن رشيق ومنهاج القرطاجني وغيرها.

الجانب الكلامي: لعل أهم أعلامه الذين تناولوا قضية الإعجاز الجرجاني والخطابي والرماني والخفاجي.

■ **المعاجم** وما تحتوي مقدماتها من قضايا مهمة للظواهر اللغوية، كما

يتطرق أصحاب المعاجم لكثير من الظواهر اللغوية في صلب موادهم اللغوية.

ثانيا: التراث الأدبي بمفهومه الواسع للأدب الوجداني الخالص أو التأملي.

ثالثا: التراث الديني الذي تناول القضايا اللغوية ويمكن تصنيفه إلى ثلاثة

أصناف:

■ **كتب أصول الفقه** وهي تتناول الظواهر اللغوية عند سن القواعد التشريعية

واستنباط الأحكام كما جاء في (الإحكام في أصول الأحكام) و (المستصفى) للغزالي.

■ **كتب التفاسير** والتي يتناول فيها المفسرون التقدير اللغوية، كما تطرقوا لتفسير

الآيات المتعلقة بنشأة الكلام وخلق الإنسان وغيرها من الظواهر اللغوية التي

تتعلق بتفسير القرآن الكريم مثل (الكشاف) للزمخشري و(مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي.

■ **علم الكلام** الذي كان سببا في ظهور مناهج الجدل وأدب المناظرات فهو يعد نقطة تقاطع للعقيدة والتشريع والمنطق وذلك أن قضاياها عقائدية محورها الظاهرة اللغوية، ولعل أهم ما كتب في علم الكلام (المغني في أبواب التوحيد والعدل) للقاضي عبد الجبار، وكتاب (الإحكام في أصول الأحكام) لابن حزم الأندلسي و(غاية المرام في علم الكلام) لسيف الدين الأمدى.

رابعاً: التراث الفلسفي بصوره المختلفة، وقد مثلت القضية اللغوية جانبا مهما في تفكير الفلاسفة ورجال الدين، ولعل موسوعة ابن سينا ومدونة الفارابي من أهم ما كتب في هذا الركن وكذلك معيار المعلم للغزالي¹.

وحاصل ما يستفاد من التحديدات السابقة أن التراث اللغوي العربي "هو كل هذا الركام المعرفي المتناثر في تاريخ الحضارة العربية ونحن لا نستطيع معرفة النظرية اللغوية العربية بأبعادها الكاملة إلا إذا أعدنا تركيب هذا الفكر اللغوي العربي المتناثر بعد سبر دقيق وعميق لكل ما قاله العرب حول المسألة اللغوية"².

فهذا الربط ليس اعتباطيا، بل هو ربط مبني على مبدأ فلسفي متماسك، يقول مازن الوعر: "إن الشرعية العلمية التي تدفعنا إلى تنفيذ هذا العمل ليست نابعة من تجميع ركام معرفي لا يربطه رابط معين وإنما من حقيقة أن هذا الركام المعرفي انطلق من مبدأ فلسفي متماسك وواضح من أجل تفسير الكون والحياة ككل. فالنظرية الفلسفية الإسلامية أرادت أن تفسر لنا مشكلة الإنسان على الأرض، ولأن اللغة مكون جوهري من مكونات الإنسان فإنها أرادت معرفة هذه اللغة وسبرها وتفسيرها وربطها

¹ ينظر: عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 34-36.

² مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، ص 20.

بالنظرة الفلسفية الكونية¹. وهذا جانب من جوانب تميز الحضارة العربية الإسلامية عن غيرها من الحضارات، "صحيح أن تاريخ العالم والحضارات مملوء بالنظرات اللغوية التي تناولت اللغة درسا وتمحيصا، إلا أن معظمها لم ينطلق من منطلق فلسفي شامل وعام. من هنا فإن تجميع الركام المعرفي اللغوي هذا يفقد صفته العلمية. إن شرعية إعادة بناء الركام اللغوي العربي القديم تأتي من حقيقة أن العرب القدماء أرادوا تفسير الظاهرة اللغوية كما فسروا بقية الظواهر الإنسانية والطبيعية من أجل خدمة النص القرآني، وبمعنى أدق، من أجل خدمة المنطلق الفلسفي الإسلامي².

وقد أسهم في هذا الغنى والتراكم اتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول العديد من الأمم في دين الله أفواجا؛ فاتخذوا اللسان العربي أداة عبادة وفكر وبيان، فكان من نتائج ذلك هذا التنوع والغنى الثقافي والعلمي. ومن هذا المنطلق فإن كل حديث عن التراث اللغوي العربي يجب أن يشمل "كل ما كتب باللغة العربية، وانتزع من روحها وتيارها قدرا، بصرف النظر عن جنس كاتبه، أو دينه، أو مذهبه؛ فإن الإسلام قد جب هذا التقسيم وقطعه في جميع الشعوب القديمة التي فتحها وأشاع الإسلام لغة الدين فيها، بلون فكري واحد متعدد الأطياف، هو الفكر الإسلامي، وهو الفكر العربي³.

وقد سجل هذا التراث على الورق أو ورق البردي أو الرق وجمع على هيئة كراسات، وكانت تسمى مخطوطات؛ والمخطوط قد يكون كتابا أو وثيقة، ويبقى هذا المخطوط هو الوعاء الأمين الذي حفظ التراث ومعارف حضارة الإسلام العظيمة، والسجل المسطر لتجاربها ومنجزاتها والمعبر عن سمو عقائدها وشرائعها ورفعة أخلاقها⁴.

¹ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² المرجع نفسه، ص 22.

³ عبد السلام هارون، التراث العربي، ص 7.

⁴ ينظر: محمود زكي، التراث هوية الحاضر وزاد المستقبل، نقلا عن:

ومما يزيد من فريدة هذا التراث، وعي الأمة بأهميته؛ فكان ذلك باعثا كبيرا على حمايته؛ فقد "احتشدت الأمة لتسجيل علومها ومعارفها في جهد دائم، لم تشهده أمة من الأمم، ولم تعرفه ثقافة من الثقافات، ولم يقف هذا الجهد عند مصر من الأمصار، ولم يكتف بقطر من الأقطار، بل امتد إلى كل بلد طالته يد الإسلام. ولم يكد ينتصف القرن الثاني الهجري حتى اندفع العلماء في التصنيف والجمع، وأخذ صرير أقلام النساخ يسمع في كل مكان، وكأنه صوت الآلات في المطابع، وعمرت حلقات الدرس بالطلاب وزخرت المكتبات العامة والخاصة بالتأليف في شتى فروع العلوم والثقافة..."¹.

2. الدراسات اللغوية عند العرب وسؤال النشأة:

قد يقال أحيانا، إن العرب تأخروا عن غيرهم من الأقوام التي سبقتهم في مجال الدراسات اللغوية، وهذا ما نجد له مسوغات في بعض الكتابات التي اهتمت بالتأريخ لحركية البحث اللغوي في الحضارة العربية الإسلامية، يقول أحمد مختار عمر: "لم يكن البحث اللغوي عند العرب من الدراسات المبكرة التي خفوا إليها سرعا، لأنهم وجهوا اهتمامهم إلى العلوم الشرعية والإسلامية وحين فرغوا منها أو كادوا اتجهوا إلى العلوم الأخرى"²، وهي الفكرة نفسها التي عبر عنها السيوطي بالقول: "إنه منذ منتصف القرن الثاني الهجري بدأ علماء المسلمين يسجلون الحديث النبوي، ويؤلفون في الفقه الإسلامي والتفسير القرآني. وبعد أن تم تدوين هذه العلوم اتجه العلماء وجهة أخرى نحو تسجيل العلوم غير الشرعية ومن بينها اللغة والنحو"³.

¹ محمود محمد الطناحي، "دار العلوم ومكانها في البعث والأحياء"، (ضمن اللغة والأدب دراسات وبحوث)، ج2، ص825.

² أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص79.

³ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص173. وينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص79.

وبذلك يشكل القرن الثاني الهجري البداية الفعلية لجمع اللغة والتأليف؛ وذلك بسبب ظهور اللحن الذي انتشر بعد دخول غير العرب الإسلام، فسعى اللغويون إلى جمع اللغة وتدوينها، وكانوا يأخذونها من بطون البوادي فشافوها الأعراب الذين لم يخالطوا العجم، فاستقى اللغويون العرب مادتهم من مصادر متفرقة.

وإذا كان "أكثر اللغة قد كتب في العصر العباسي الأول لا قبله"¹، فإنه حتى ما وجد في القرن الأول من تأملات نحوية أو محاولات لدراسة بعض المشاكل اللغوية كان الحافز إليه إسلامياً، ولم يُقصد لذاته، وإنما لاعتباره خادماً للنص القرآني²، يقول عبد السلام هارون: "ذلك الإنتاج الخصب الذي يبدأ من عهود الجاهلية، ثم يرتمي إلى آفاق القرن الرابع أو الخامس الهجري؛ فإن ذلك العهد الإسلامي يمت بسبب وثيق إلى عهد الجاهلية، ويحذو حذوه في كثير من الأمر ويستمد أكثر ما يستمد من معينه، وفيه حافظ الأدباء إلى حد ما على سلامة اللغة وسلامة الذوق العربي الذي ينسجم مع هذه اللغة انسجاماً، ويلتزم بها التماماً، ولقد نقلت إلينا أمهات الكتب ذلك الأدب في صدق وأمانة وساقط إلينا روائع كثيرة"³، كالمعلقات والقصائد ودواوين فحول الشعراء كأبي تمام وأبي العلاء المعري، والبحثري والمتنبي، والتراث التاريخي الذي تداوله العرب في المجالس مساجلة ومذاكرة، والتراث القصصي المتمثل في قصص "عنتر بن شداد" و"ألف ليلة وليلة" وإعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس.

3. أهداف الدراسات اللغوية عند العرب:

معلوم أن الحياة العلمية الإسلامية العربية نشأت وتطورت في ظل القرآن الكريم؛ فقد وجد المسلمون في كتاب الله مصدراً للتعبّد وتنظيم شؤون الحياة، فكان ذلك حقيقة حركتهم نحو العلم في سبيل فهم القرآن الكريم والاهتداء إلى ما يحويه من أحكام، يقول

¹ أحمد أمين، ضحى الإسلام، ص 173.

² أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص 79.

³ عبد السلام هارون، التراث اللغوي، ص 32.

الثعالبي: "من أحب الله تعالى أحب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، ومن أحب الرسول أحبَّ العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وأتاه حسن سرسرة فيه، اعتقد أن محمدا صلى الله عليه وسلم خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة التعلم ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب، كالينبوع للماء والزند للنار، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومصارفها والتبحر في جلائها ودقائقها، إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن وزيادة البصيرة في إثبات النبوة، لبتي هي عمدة الإيمان، لكفي بهما فضلا يحسن فيهما أثره، ويطيب في الدارين ثمره، فكيف وأيسر ما خصها الله عز وجل به من ضروب الممادح يكل أقلام الكتبة ويتعب أنامل الحسبة..."¹.

فقد شكل هذا الارتباط بين الحياة الدنيوية والحياة الدينية أساس نشأة الحياة العلمية للغة العربية وتطورها، وبذلك جمع العرب بين البعدين الديني والدنيوي، فكان إقبالهم على دراسة اللغة وقضاياها مفتاح الوصول إلى تلك الغايتين، فكانت البداية بما هو عملي قبل الاهتمام إلى "منهج نظري"؛ فكانت قراءتهم للقرآن عن طريق التلقي أسبق من وضع كتب تحدد منهج القراءات، وكان تفسيرهم بالأثر أسبق من غيره، وكان الفقه أسبق من الأصول... فمن خلال هذا التطور العام بإمكاننا أن نتصور تطور الدراسات اللغوية عند العرب؛ فقد بدأت بما هو عملي من حيث جمع الألفاظ وضبطها ثم دراسة التراكيب اللغوية قبل الوصول إلى وضع منهج في دراسة اللغة مثلما أصبح عليه الأمر في القرون اللاحقة.

¹ أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ص2.

المبحث الثاني: ما اللسانيات التوليدية؟

- توطئة
- الأصول الفلسفية لللسانيات التوليدية.
- المنطلقات العلمية لللسانيات العلمية.
- المراحل التي مرت بها اللسانيات التوليدية.

توطئة:

ما كاد ينقضي القرن العشرون حتى قامت الكتابات اللسانية التوليدية على أنقاض البنيوية، فظهرت المدرسة التوليدية التحويلية في أمريكا على يد تشومسكي (Chomsky)، وقد تنبه بعض المثقفين العرب في بداية السبعينات من القرن العشرين لأهمية هذه الدراسات فظهر ما يسمى بالكتابة اللسانية التوليدية العربية¹.

و"يقصد بالمدرسة التوليدية مجموعة النظريات اللسانية التي وضعها، وطورها اللساني الأمريكي المشهور ناعوم تشومسكي (المولود سنة 1928)، وأتباعه منذ أواخر الخمسينيات، وقد امتد تأثيرها ليشمل (إضافة إلى حقل اللسانيات) مجالات أخرى كالفلسفة، وعلم النفس، وتعتمد هذه المدرسة في مناهجها على استخدام ما يعرف بالقواعد التوليدية، وبلغ تأثيرها في النظريات النحوية حداً يمكن القول معه بأن النحو التوليدي هو النحو السائد في الدراسات اللسانية إبان الأربعين سنة الأخيرة"².

ولقد واكبت تلك الدراسات التطورات التي عرفتتها المدرسة التوليدية، فما فتئت تتغير وتتطور نحو مزيد من الضبط والدقة³، ولذا اتسمت هذه الكتابات بتعدد المصادر التي تستقي منها، والأصول التي تعود إليها.

وتتعدد النماذج التوليدية التي تناولت قضايا اللغة العربية واختلافها، وقد أفرز هذا التعدد جملة من التحاليل التي تعمل على وصف اللغة العربية توليدياً، وقد برز في

¹ عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص 189.

² محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، ص 82.

³ حافظ إسماعيلي علوي، من قضايا اللغة العربية في اتجاهات البحث اللساني الحديث، ص 50.

هذا المجال عبد القادر الفاسي الفهري، وميشال زكريا، ومازن الوعر، و خليل عمايرة، وغيرهم¹.

كما اهتمت بعض الكتابات بالأطر النظرية والمنهجية للنظرية التوليدية، وذلك لتكشف لنا عن خصوصية هذه الكتابة في الثقافة العربية. وعندما ننتبع الكتابة التوليدية في الثقافة العربية نجد أنها قد استطاعت "تقديم جملة من الاقتراحات الجديدة المتعلقة بطبيعة البنيات العربية صوتا وصرفا وتركيبا ودلالة ومعجما. وجاءت بعض هذه الكتابات مضاهية شكلا ومضمونا لنظيرتها الغربية الأمريكية والأوربية من عدة أوجه، في مقدمتها تقيدها المطلق بشروط وقواعد البحث العلمي اللساني وخطابه"².

وبفضل هذه التطورات المتلاحقة "أصبحت دراسة اللغة العربية محكومة بجملة من الأصول والمفاهيم النظرية والمنهجية المضبوطة، فبدون معرفة الإطار الذي تندرج فيه هذه الكتابة أو تلك، لا يمكن بأي حال من الأحوال إدراك طبيعة تحليل المقدمة ونتائجها النظرية، فلم يعد ينظر إلى لغة العربية نظرة حرة اعتباطية قائمة على التأمل والانطباع، وإنما تتقيدا لمقاربة الإطار النظري للنموذج الذي تشتغل فيه وتحاول تطبيقه على اللغة العربية مستعملة مجموعة من وسائل الاستدلال والبرهنة على ما تقوم به"³.

وقد استطاعت الكتابة التوليدية بمجهوداتها المستمرة أن تسعى إلى تحقيق الأهداف التي ترومها: فتمكنت من صياغة قواعد للظواهر اللغوية المدروسة تتسم بالبساطة

¹ مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية والمنهجية، ص 203.

² المرجع نفسه، ص 223.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والوضوح والأناقة، على غرار ما هو معروف في النحو التوليدي. كما استطاعت تقديم قواعد عامة تفسر المعطيات تفسيراً شمولياً، وهذا ما نجده في كتابات كثيرة¹.

وهذه المجهودات المتواصلة تجعل من الكتابة التوليدية في الثقافة العربية كتابة متعددة النماذج، وهذا التعدد يعمل على إثراء البحث اللساني العربي، وتقريبه من واقع البحث اللساني العالمي، وزيادة العلمية باللغة العربية، وفتح آفاق واسعة للبحث وإثارة إشكاليات جديدة واقتراح الحلول الممكنة، في محاولة لتجاوز الصعوبات التي تعيق سيرها.

1. منطلقات اللسانيات التوليدية:

حظيت اللسانيات التوليدية بما لم تحظ به نظرية أخرى غيرها من الاهتمام والإقبال، فأقبل اللغويون والباحثون عليها واهتموا بها في جميع مجالاتها التصورية ومناهجها، وقد برروا ذلك بأهمية دراسة منطلقاتها التي كانت مثارا للجدل، وبالنظر في منطلقات اللسانيات التوليدية يمكننا التمييز في تلك المنطلقات بين ما هو فلسفي وما هو علمي.

1.1. الأصول الفلسفية للسانيات التوليدية:

استندت اللسانيات التوليدية في تصورها الجديد -الذي يرفض المبادئ العامة التي قامت عليها البنيوية- على مبادئ عقلانية تعود إلى أصول متعددة لعل من أهمها:

- **الاتجاه العقلي للفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت R.Descartes** الذي ظهر واضحاً جلياً في كتاب تشومسكي "اللسانيات الديكارتية" 1966²، فقد أقام تشومسكي نظريته على أسس عقلية وهو بذلك يرفض المنهج الوصفي، كما يرى أن الإنسان مخلوق بملكة لغوية، ويملك قدرة لغوية قائمة على أصول من مبادئ النحو الكلي، ويعتبر هذه الأصول

¹ حافظ إسماعيلي علوي وأحمد الملاح، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ص 289.

² عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص 119.

اللغوية جزءا من العقل البشري، فبنى النظرية التوليدية التحويلية على الآراء العقلانية من منطلقات لغوية علمية، واعتبر اللغة هي الفرق الجوهرى بين الإنسان والحيوان وهذه الفكرة من الأفكار التي قال بها ديكرت¹.

وقد حظيت مسألة ربط اللغة بالعقل البشري بالاهتمام من الفيلسوف الألماني همبولت (Humboldt)، فقد فسر اللغة بأنها تأتي على شكلين؛ أحدهما خارجي آليا والآخر داخلي عضويا، وقد بدأ اهتمامه بالشكل العضوي؛ فهو ينظر إلى اللغة باعتبارها نظاما عضويا تتداخل فيه كل الأجزاء ويقوم كل جزء بدوره الفعال وفقا للعمليات التوليدية التي تكون البنية العميقة². وكانت أفكار همبولت من الأصول الفلسفية التي استمد منها مبادئ نظريته التوليدية فنجدته يشير إليها ويدعو إلى النظر في أفكاره كما هو واضح في كتابه "اللغة والمسؤولية" الصادر سنة 1979.

● **النحو التقليدي** تأثر به تشومسكي بشكل كبير ، فهو يؤكد أنه الأقرب إلى الطبيعة الإنسانية في دراسة اللغة، كما أنه يدعو إلى إعادة أصوله على أسس أكثر علمية³.

● **علم النفس:** من الأصول التي تأثر بها تشومسكي؛ فقد أشار إلى أن علم اللسانيات يرجع في الأصل إلى علم النفس الإدراكي، وقد ظهر هذا في العديد من مؤلفاته منها "مظاهر النظرية النحوية، واللسانيات الديكارتية، واللغة والعقل"، وقد أكد ذلك بقوله: "إن مصطلحات المدرسة السلوكية مثل المثير والاستجابة،

¹ المرجع نفسه، ص120.

² المرجع نفسه، ص122-123.

³ المرجع نفسه، ص72.

والعادة، والربط الشرطي والتعزيز.... كلها مصطلحات تحتاج إلى تحديد صارم عند التطبيق في حقل اللغة"¹.

وكثيرا ما نجد تشومسكي يتحدث عن الصلة الوطيدة بين اللسانيات وعلم النفس، ومن ذلك قوله: "إن من أهم الأسباب التي تدفعنا إلى دراسة اللغة دراسة علمية، ودراسة النحو التحويلي خاصة، أن هذه الدراسة ذات قيمة واضحة في فهمنا وإدراكنا للعمليات العقلية، ومن هنا فإن اندماج علم اللغة [اللسانيات] مع علم النفس، واتحادهما معا إنما هو من أجل النتائج الهامة التي سيسفر عنها هذا الاندماج وليس من أجل تغير موضوعات علم اللغة [اللسانيات] أو مناهجه"².

ولهذا اشترك تشومسكي في بعض أبحاثه وكتابات مع علماء نفس أمثال جورج ميلر G.Miller الذي اشترك معه في كتابة بحث بعنوان "اللغة ذات الحالة المحدودة"، وكتابة فصلين من كتاب "دليل علم النفس الرياضي"، كما كتب تشومسكي فصلا بمفرده من هذا الكتاب³. يظهر من خلاله تأثره بعلم النفس ومبادئه ودمجه مع علم اللغة.

كما تشكل الدراسات البنوية إحدى الأصول التي استمدت منها النظرية التوليدية التحويلية مبادئها، حيث كانت بداية نشأة تشومسكي العلمية في ظل المدرسة البنوية؛ فقد تتلمذ على يد ز. هاريس Z.Harris الذي كان تلميذا لبloomfield، وبذلك كان تأثير الدراسات البنوية كبيرا على تشومسكي، ولاسيما في كتاباته الأخيرة التي يظهر فيها تسامحه مع البنوية بشكل كبير.

تلکم فكرة موجزة عن المنطلقات الفكرية والمرتکزات الإستمولوجية للسانيات التوليدية.

¹ ليونز جون، تر: حلمي خليل، نظرية تشومسكي اللغوية، ص 207-209.

² المرجع نفسه، ص 210-211.

³ المرجع نفسه، ص 213.

2.1. المنطلقات العلمية:

ترتكز اللسانيات التوليدية منذ ظهورها على مبادئ علمية، لا تختلف كثيراً عن تلك التي تقوم عليها الكثير من العلوم الدقيقة، فقد "كان تشومسكي واعياً تمام الوعي بالأسس الإستمولوجية التي أقام عليها صرح نظريته الجديدة، وبضرورة إدخال أسس علمية جديدة أصبحت شائعة في حقل اللسانيات.. كما أسهمت الأسس العلمية الجديدة التي دعا إليها في إضفاء طابع الدقة والضبط على تحليل اللغة ومعالجتها نظرياً ومنهجياً¹.

ولعل الحديث عن سمات التفكير العلمي الحديث والخصائص التي تميزه، ووضع اللسانيات التوليدية في إطار الممارسة العلمية، تمكننا من معرفة أهميتها النظرية والمنهجية والإستمولوجية وإدراكها إدراكاً سليماً. فالعلماء عند ممارستهم العلمية يحاولون فهم الظواهر المدروسة فهماً أعمق وأشمل، وإن كانوا يتباينون في تصور ممارساتهم العلمية "سواء من حيث الأسس العامة للممارسة العلمية ذاتها، أو من حيث المنهجية المتبعة في التعامل مع الظواهر التي يتم رصدها. ويُميز في تاريخ الفكر العلمي الحديث بين تصورين أساسيين: تصور تصنيفي وتصور فرضي"².

2. موقف اللسانيات التوليدية من التصنيف والفرضية:

قامت اللسانيات البنيوية في إطار التصور التصنيفي حيث كانت تهدف إلى ملاحظة الواقع اللغوي الخاص بلسان أو لهجة مجموعة لغوية معينة، فالتحليل البنيوي الوصفي "يروم اتباع مجموعة من الخطوات التي تطبق في كل مرحلة إجراءات عملية محددة سلفاً من أجل تنظيم الظواهر التي تم جمعها تنظيماً نسقياً ودقيقاً، وبالتالي يسعى التحليل التصنيفي إلى رد الوقائع اللغوية التي تبدو متغيرة ومتباينة إلى ما

¹ مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ج1، ص35.

² المرجع نفسه، ص36.

يمثلها من عناصر أولية ثابتة بعد أن تختزل في فئات *classes* ومقولات *Catégories* وزمر *ensembles*"¹.

وعلى هذا الأساس نجد أن اللسانيات البنيوية ترفض التصور الفرضي في البحث اللساني، وتعتمد التصور التصنيفي الذي سرعان ما يضعف أمام النقد العلمي، على خلاف التصور الفرضي والتفسيري الذي يكون إيجابيا ويحقق أهدافه عندما يتيح تنبؤات عدة؛ وذلك أن العلماء يربطون بين الطابع التفسيري للنظرية وقدرتها على التنبؤ.

فتشومسكي يسير بالبحث اللساني نحو الاتجاه العلمي الصحيح متجاوزا التصور التصنيفي الذي سارت عليه البنيوية والذي يقف عند حدود الملاحظة والترتيب والتصنيف للمعطيات اللغوية، ويسعى "إلى تفسير الظواهر التي تتم ملاحظتها، والتنبؤ بأخرى عن طرق قوانين عامة في صيغة مفاهيم فرضية كما هو الحال بالنسبة إلى الإلكترون، والكتلة"².

¹ المرجع نفسه، ص 42-43.

² N.Chomsky, *Structures syntaxiques*, p55.

نقلا عن مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية.

3. تطور النماذج التوليدية:

إن المكانة التي حازتها النظرية التوليدية لم تظهر دفعة واحدة، بل ظهرت ملامحها عبر مراحل متعددة:

1.3. المرحلة الأولى (المباني التركيبية 1957-1965):

بدأت بمرحلة التراكيب النحوية مع ظهور أول كتاب لتشومسكي (المباني التركيبية) (Structures syntaxiques) م، واشتملت هذه المرحلة على ثلاثة نماذج أو أنحاء رئيسة تعتمد على الإبداعية وقد ترجمت إلى العربية بصور مختلفة:

حسام البهنساوي ¹	حلمي خليل ²	مازن الوعر ³	منذر عياشي ⁴
نموذج القواعد النحوية المحدودة.	القواعد النحوية المحدودة.	نحو القواعد المحدودة.	القواعد الجدولية المحدودة.
نموذج بنية العبارة.	قواعد التركيب	نحو بنية العبارة.	القواعد التركيبية.
نموذج القواعد التحويلية.	النحو التحويلي	النحو التحويلي.	القواعد التحويلية. ⁵

¹ تشومسكي، اللغة والمسؤولية، تر: حسام البهنساوي، ص 14-43.

² جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، ص 96-113-114.

³ مازن الوعر، تشومسكي، ص 63.

⁴ منذر عياشي، النظرية التوليدية ومناهج البحث عند تشومسكي، ص 35.

⁵ مختار درقاوي، نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم، ص 6.

1.1.3. نحو المواقع المحددة:

ويعد من أبسط النماذج التي قدمها تشومسكي، وكانت الغاية منه وصف اللغة؛ فهو أنموذج للقواعد البسيطة، يرى أن توليد مجموعة غير متناهية من الجمل يتم عن طريق عدد محدود من القوانين المكررة، وهي تطبق على مفردات اللغة المحدودة "أي أن سلسلة من الاختيارات تتم في السياق الخطي على أن الاختيار اللاحق يحدده اختيار العناصر السابقة"¹، كل ذلك يكون في إطار الجملة؛ بمعنى أن الجمل تولد عن طريق سلسلة من الاختيارات، وعندما يتم اختيار العنصر الأول يتم اختيار جميع ما يليه مرتبط بما سبقه، وبهذا يمكن تمديد الجمل إلى ما لا نهاية بشرط أن تكون مرتبطة بما قبلها.

2.1.3. نحو بنية العبارات:

يعتبر نحو بنية العبارات أكثر ملاءمة لتوليد عدد من الجمل التي لا يستطيع نحو المواقع المحدودة توليدها؛ إذ إن لديه القدرة على توليد الجمل بشيء من الدقة في اختيار كل كلمة، فهو يحدد الكلمة من الناحية النحوية بدقة شديدة، ويعمل على إخضاع كل كلمة لطبقة نحوية، وهو أمر ثابت في هذا النموذج النحوي، وتعتبر (قواعد إعادة الكتابة) الفكرة الرئيسية والهامة التي قدمها تشومسكي من خلال هذا النموذج.

ويرى تشومسكي أن نحو بنية العبارات وإن كان أكثر ملاءمة من نحو المواقع المحددة، إلا أنه يبقى نموذجا نحويا محدودا؛ حيث إنه لا يحمل القدرة الكافية على استيعاب جميع الظواهر اللغوية، ولا يستطيع تحليل بعض الجمل التي تحدث أكثر من معنى².

¹ ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص 127.

² جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، ص 128.

3.1.3 النحو التحويلي:

يعتبر التحويل من الآليات التي اعتمدها تشومسكي في نظريته، وهو يقوم على ربط البنية العميقة بالبنية السطحية، وبهذا يتضح لنا أن التوليد يدل على الجانب الإبداعي للغة، فإذا كان الإنسان يستطيع توليد عدد لا متناه واستيعابه من الجمل فإن التحويل ينقل البنى العميقة إلى أكثر من مستوى إلى البنية السطحية وإن احتاج الأمر إلى أكثر من عملية تحويل.

ونجد أن تشومسكي يولي هذا النموذج من الأنحاء اهتماما لم يوليه للنماذج السابقة له؛ حيث إنه يرى أن القواعد التحويلية تعكس حدس أصحاب اللغة، وتعمل على توليد عدد لا متناه من الجمل وتهتم بالمعنى وتزيل اللبس التركيبي الذي وقعت فيه القواعد السابقة¹.

2.3 المرحلة الثانية (1965-1970):

بدأت هذه المرحلة النموذجية مع ظهور كتاب "مظاهر النظرية النحوية" 1965م، وقد أولت هذه المرحلة المكون الدلالي اهتماما كبيرا، وامتدت حتى عام 1970م، وفي هذه المرحلة نجد تشومسكي يطرح نظرية أكثر اتساعا للقواعد التحويلية، وهي تختلف عما سبق طرحه في النظرية التي قدمها في كتابه (المباني التركيبية)، وهذه المرحلة تقوم على مبادئ يمكن إيجازها فيما يلي:

- مبدأ الكفاءة والأداء: يحدد تشومسكي مصطلح الكفاءة على أنه المعرفة اللغوية التي تتضمن نظاما مجردا، وهذا النظام يتكون من قوانين تسمح بتحديد الشكل والمعنى الأصلي لعدد غير محدود من الجمل الممكنة، كما يرى أن الكفاءة هي قدرة المتكلم

¹ المرجع نفسه، ص 129-130.

المستمع المثالي على الجمع بين الأصوات والمعاني في تناسق مع قواعد لغته¹. أما الأداء فـ "هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين"²، فلا بد للمتكلم أن "يعود بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية، كلما استعمل اللغة في مختلف ظروف المتكلم"³. ولهذا ينظر تشومسكي إلى اللغة باعتبارها عبارة عن نظام ثنائي؛ أحدهما: ظاهر منطوق (الأداء)، والآخر ذهني خفي (الكفاءة)، فالأداء هو استنتاج للكفاءة بواسطة.

- مبدأ البنية العميقة والبنية السطحية: لعل مصطلح البنية العميقة والبنية السطحية من أهم المصطلحات التي استحدثتها تشومسكي في نظريته، إذ اعترض على اقتصار الوصفيين على وصف الظاهر دون محاولة للكشف عن المعنى، إذ يرى أن لكل منطوق سطحي بعدا عميقا، فاعتنى بالمكون الدلالي الذي يمثل البنية العميقة لكل بنية سطحية⁴، وأهم ما يميز البنية العميقة أنها موحدة ومشاركة بين لغات العالم كما تتميز البنية العميقة بأنها:

أ- البنى الأولى المولدة في قاعدة النحو (عن طريق القواعد المركبية والقواعد المعجمية).

ب- المجال الوحيد للملء المعجمي.

ج- البنى التي تؤول دلاليا.

¹ مرتضى جواد الباقر، المقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص28، وينظر: حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناني، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص35.

² ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص33.

³ المرجع نفسه، ص33

⁴ هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، ص377.

د- البنى التي يمكن أن تحول بواسطة تحولات إلى بنى سطحية سليمة البناء¹.

أما البنية السطحية فهي الجملة المستعملة في عملية التواصل كما هي، بمعنى أنها عبارة عن علامات لسانية ملفوظة كانت أم مكتوبة، ومما يميزها عن البنية العميقة أنها تختلف من لغة إلى أخرى.

- **مبدأ المكون الدلالي:** التفت تشومسكي في هذه المرحلة إلى مكون لم يعره اهتماما في السابق وإن كان قد ألمح إليه، ألا وهو المكون الدلالي. فلهذا المكون دور بارز في تغيير نظرتنا إلى القواعد، ويرجع الفضل إلى فودر Fodor وكاتز Katz وبوستل Bostel في إشراك المكون الدلالي بهدف أن يكمل القاعدة التوليدية في مستوى البنية العميقة².

فقد أدرك تشومسكي قيمة الدلالة وأن "هناك شعورا عاما بأن الدلالة هي ذلك الجانب العميق أو الهام من اللغة، وأن دراسة هذا الجانب تضيف على الدراسات اللغوية طابعا مثيرا ومميزا"³.

ولتطبيق هذا المكون يتوجب استحضار مجالين⁴:

- مجال المعجم: (الكلمات) بمعنى أنه مجموعة من العلامات اللسانية، التي تتميز بسمات صوتية وتركيبية ودلالية، وهو يعطي لكل كلمة معنى أوليا.
- مجال قواعد الإسقاط: وهي ما يقرن بين العلامات اللسانية والبنى التركيبية المولدة، ليصل إلى مدلول الجملة.

¹ عبد القادر فاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ج1، ص68.

² تشومسكي، اللغة والمسؤولية، تر: حسام البهنساوي، ص49.

³ المرجع نفسه، ص49.

⁴ عادل فاخوري، اللسانيات التوليدية التحويلية، ص54-55.

3.3 المرحلة الثالثة النظرية النموذجية الموسعة:

تمثل هذه المرحلة امتدادا لمرحلة النظرية النموذجية، وتركز هذه المرحلة على معالجة الصعاب الناتجة عن فكرة النحو الكلي وذلك بعد عام 1970م، وقد تميزت هذه المرحلة ب بروز نظريتين دلاليتين تقاربان المعنى في اللغة الطبيعية:

- النظرية الدلالية التفسيرية لـ كارتز Katz وفورد Fodor.
 - النظرية الدلالية التوليدية لـ ليكوف Lykov ومكاولي Mcauley وروس وبوستال Postel، ثم غروبر Gruber.
- ولا تقتصر هاتان النظريتان على تعديل الجانب الدلالي فقط، بل عملتا على إعادة صياغة كل نموذج لغوي.

فالنظرية الدلالية التفسيرية تنظر إلى المكون الدلالي على أنه يعمل على إسناد التفسير الدلالي المناسب للمتواليات التي يولدها التركيب عن طريق المعلومات المركبية، ويجب أن يتم هذا التفسير على مستوى البنية العميقة¹.

وتهدف النظرية الدلالية التوليدية إلى معرفة كيفية ارتباط المفاهيم الدلالية داخل الجمل للتعبير عن معان جديدة، ولقد استعانت هذه النظرية بقواعد الربط بين المفاهيم داخل الجمل بالإضافة إلى النموذج الذاكرة الدلالية، لتوليد جمل ذات معنى.

وتجدر الإشارة إلى أن نظرية الدلالة التفسيرية ترى أن دور الدلالة يقتصر على التفسير، في حين نجد أن نظرية الدلالة التوليدية ترى أن دور المكون الدلالي هو توليد الجمل وإظهارها بالشكل الذي تظهر عليه في التركيب، كما أنها ترى أن العلاقات التركيبية تعتبر انعكاسا للمعلومات الدلالية وليس العكس².

¹ عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص72-77.

² المرجع نفسه، ص78.

والمتتبع لهذه المراحل يرى مدى نجاح تشومسكي وتطويره وتصحيحه لنظريته وذلك لإيصالها بصورة جيدة تتناسب مع علمه والمختصين في هذا المجال.

وما نخلص إليه أن التوليديين عنوا بالبنية العميقة والجانب الضمني في اللغة، فنجد تشومسكي يتحدث عن العمل والعامل والمعمول والرتبة، ويرى أن الجملة قد تكون سليمة من الناحية النحوية أو القواعدية، ويعطي الأسبقية للنحوية ويقرنها بالكفاية اللسانية على حساب المقبولية التي يقرنها بالإنجاز، وفي نموذج 1965م، عاد ليهتم بالمقبولية. ويشير إلى ضرورة وجود نظرية لممارسة التحليل اللساني، وهذه النظرية تقوم على النحو التوليدي التحويلي الكلي باعتبارها نظرية علمية يمكن تطبيقها على جميع اللغات الطبيعية، فالنحو الكلي أو العالمي نظام من المبادئ والقواعد والشروط، بمعنى آخر هو مجموعة من العناصر والخصائص المشتركة بين سائر لغات العالم.

لقد تأثر تشومسكي بالنظريات العلمية، ولاسيما الفيزيائية (غاليلي Galileo Galilei)، فجنده يقيم تشابها بين خطوات النظرية النحوية والنظرية الفيزيائية، التي تبني النظرية على عدد من الملاحظات طبيعية كانت أو موضوعية أو تلقائية أو تتبعية، ثم الربط بين هذه النظرية الملحوظة والتنبؤ بظاهرة جديدة، وتشومسكي يرى أنه بالإمكان تطبيق هذه الخطوات على النظرية النحوية.

وتبدأ اللسانيات التوليدية من مسلمة وهي أن تُفسر الظاهرة اللغوية بطريقة تقتضي الانطلاق من نظرية مبنية بطريقة علمية ثم الانتقال إلى الواقع الذي نقوم بشرحه وتفسيره وفق مبادئ هذه النظرية، ويلزم تشومسكي الباحث اللساني الاقتراب من المتكلم واستكناه قدرته الكلامية التي تشغل داخل ذهن البشري وذلك بـ :

- وضع فرضية لغوية: يضع الباحث اللساني فرضية لغوية انطلاقاً من البحث العلمي في مجال اللسانيات، وانطلاقاً من نظرية علمية واضحة، وذلك بوضع فرضية البحث والتحليل.

- تمحيص الفرضية: تطبق الفرضية اللغوية على بعض المواد اللغوية كخطوة ثانية؛ لأنه ينطلق من الكل إلى الجزء ومن العام إلى الخاص.
- إعادة صياغة الفرضية اللغوية: قد تدعو الحاجة إلى إعادة النظر في الفرضيات لجعلها أكثر مطابقة وملاءمة للأهداف المرجوة
- تثبيت الفرضية اللغوية: عندما نتأكد من ملاءمة الفرضية للمواد اللغوية نطرحها للتخصيص ونعممها على جميع الظواهر اللغوية.
- ويستفاد مما سبق أن النحو التوليدي التحويلي يقوم على الأسس التالية:

- 1- البنية السطحية: هي كل جمل ملموسة منطوقة كانت أو مكتوبة، حيث إن العمليات العقلية تعمل على تحويل الجمل في البنية العميقة إلى جمل في بنيتها السطحية الملموسة.
- 2- البنية العميقة: هي العمليات العقلية للتفكير في الجمل قبل تحويلها إلى بنى سطحية، والبنية العميقة هي المعنى الذي يتبادر إلى ذهن المستمع عندما يسمع الجملة السطحية، ولقد عني تشومسكي بالبنية العميقة على حساب البنية السطحية؛ وذلك لأن مبدأ التوليدية يقوم على الجانب العقلي.
- 3- الكفاءة: هي القدرة على استعمال نظام اللغة التي تمكنه من تفسير إنتاج الجمل، والقدرة على قبول جمل معينة على أنها مقبولة نحوية، ورفض الجمل غير النحوية.
- 4- الأداء: هو استعمال المتكلم للغة وإن لم يكن من الضروري أن يكون الأداء بمستوى الكفاءة؛ لأن المتكلم أثناء الكلام قد يخطئ وينتج جملاً غير مقبولة وذلك مقارنة بالكفاءة التي تعد النظام النموذجي الذي تقوم عليه مهارتنا اللغوية.¹

¹ فتحي خشايمية، نظرية النحو التوليدي عند تشومسكي، <https://www.djelfa.info/vb/showthread.php?t=95816>

خلاصة:

حاولنا في هذا الفصل تحديد مفهومي التراث اللغوي العربي واللسانيات التوليدية؛ فالتراث كم هائل من المعرفة لا يقتصر على ما قدمه النحاة القدامى، بل يشمل كل ما كتب بالعربية متمثلاً بكتب النحو، وأصول النحو، والبلاغة والمعاجم والتراث الأدبي بمفهومه الواسع، والتراث الديني متمثلاً في كتب أصول الفقه والتفسير وعلم الكلام، والتراث الفلسفي بصوره المختلفة. وقد تنبه العرب لأهمية هذا التراث؛ فكان باعثاً على حمايته وتسجيل علومه ومعارفه، وجمعه وتصنيفه، فنشأت هذه الدراسات اللغوية التي تهدف جميعها إلى خدمة القرآن الكريم.

كما عرضنا في هذا الفصل للسانيات التوليدية والأصول التي قامت عليها، والتطورات المتلاحقة التي عرفتتها، وأهم المبادئ التي تقوم عليها.

¹ المقدادي زكريا كامل، النحو التوليدي التحويلي عند تشومسكي. -ar-<https://ar->

ar.facebook.com/618644004860682/

الفصل الثاني: التراث اللغوي العربي في الكتابة التوليدية العربية الحديثة

- توطئة
- المبحث الأول: الكتابة التوليدية الحداثية.
- المبحث الثاني: الكتابة التوليدية التراثية الإيديولوجية.
- المبحث الثالث: من مظاهر التقريب بين التراث اللغوي العربي واللسانيات التوليدية الحديثة.

توطئة:

ترجع بدايات البحث اللساني التوليدي الأولى في الثقافة العربية إلى سبعينيات القرن المنصرم، لكن الانطلاقة الفعلية كانت في بدايات الثمانينيات. وارتباطاً بموضوع بحثنا هذا الذي نتوخى من خلاله الكشف عن وجوه حضور التراث اللغوي العربي في الكتابة التوليدية العربية الحديثة، فإنه يمكننا أن نميز في تلك الكتابات بين اتجاهين كبيرين:

- كتابات لسانية توليدية حدثية،
- كتابات لسانية توليدية تراثية.

المبحث الأول: الكتابة اللسانية التوليدية الحدثية:

نقصد بالكتابات اللسانية التوليدية الحدثية تلك الكتابات التي انفتحت على الدرس التوليدي، وحاولت أن تتبنى مرجعيته في تحليلاتها للغة العربية وتطبيقاتها عليها، وهذا النوع من الكتابة محدود؛ إذ «القليل من الدراسات العربية التي تقدم فعلاً افتراضات جديدة بشأن بنيات العربية من منظور توليدي، وتعكس مجهوداً عربياً فيه أصالة وإبداع يضع الدرس اللساني العربي في إطار عالمي، وتكاد هذه المساهمات تنحصر في بعض الأسماء العربية»¹،

ويظهر من تتبع تلك الكتابات تباينها من جهة النماذج التوليدية المؤطرة لها، ومن جهة مواكبتها للتطورات التي عرفت تلك النماذج؛ فمنها ما اكتفى بنموذج من نماذج النظرية، أو توقف عند طور من أطوارها، ومنها ما سعى إلى مواكبة مستجدات البحث التوليدي وتطورات المتلاحقة².

¹ المرجع نفسه، ص 202.

² للمزيد من التفاصيل انظر: يمكن الرجوع إلى تفاصيل ذلك في حافظ إسماعيلي علوي:

- اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة،

ومن أبرز اللسانيين الذين يمثلون هذا الاتجاه يمكن أن نشير، على سبيل المثال لا الحصر، إلى الأسماء التالية:

- حماسة عبد اللطيف
- خليل عمايرة
- عبد القادر الفاسي الفهري
- مازن الوعر
- ميشال زكريا
- نهاد موسى

فما يميز جهود هؤلاء أنهم حاولوا في بحوثهم، تنظيرا وتطبيقا، أن يستحضروا التراث اللغوي العربي، وأن يتعاملوا معه من منظور علمي، بعيدا عن القراءات الضوئية والإسقاطات، وذلك على عكس الاتجاه التراثي الإيديولوجي.

ويمكن أن نميز في جهود هؤلاء بين توجهين أساسيين؛ يرى أولهما أنه لا حاجة تدعو إلى الرجوع إلى التراث اللغوي العربي عند دراسة اللغة العربية من منظور توليدي، ويرى ثانيهما أن استحضار التراث أمر لا بد منه؛ لأن دراسة قضايا اللغة العربية من منظور لساني توليدي لا يمنع من الوقوف على بعض وجوه الشبه بين التراث اللغوي العربي واللسانيات الحديثة.

1. الاتجاه الرافض للتراث:

أبرز من يمثل هذا الاتجاه اللساني المغربي عبد القادر الفاسي الفهري، الذي يعد أحد مؤسسي الدرس اللساني التوليدي في الثقافة العربية المعاصرة؛ وأحد أبرز أعلامه؛ تشهد على ذلك مؤلفاته القيمة وجهوده البحثية، ومنها:

- اللّسانيّات واللّغة العربيّة، ط1985.
- المعجم العربي نماذج تحليلية جديدة، ط1986.
- البناء الموازي، ط1990.
- المعجمة والتوسيط، ط1997.
- المقارنة والتخطيط في البحث اللّساني العربي، ط1998.
- ذرات اللغة وهندستها، دراسة استكشافية أدنوية، ط2010م.

يرى الفاسي الفهري أنه «على العكس من الفكرة الشائعة التي مفادها أن النحو التقليدي يزودنا بكل ما نحن في حاجة إليه، ينبغي أن نتوقع غياب المعطيات الأكثر دلالة بالنسبة إلى افتراضاتنا، أو تشويهاها أو إنكار بعض النحاة لها، أو اختلافها اختلاف مراحل تاريخ اللغة... على أن هذا لا يعني فساد كل المعطيات والتعميمات التي نعثر عليها»¹.

فقد سلك الفاسي الفهري مسلكا خاصا في التعامل مع التراث اللغوي العربي؛ إذ يميز بين وصف اللّغة العربيّة وقراءة الثّراث النحوي العربي؛ فوصف اللّغة يقتضي وضع نظريّة تفسر بنيتها، وتجيب عن جملة التعالقات الحاصلة بين مختلف العناصر المكونة لها، وأما قراءة التراث، فأهم ما تعنيه هو عرض للنظرية القديمة المفسرة للظاهرة اللّغويّة، ويكون هذا العرض بطريقتين.

الأولى: بشرح المادّة الموجودة في الثّراث وتنظيمها.

¹ عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص55.

الثانية: يعرض التراث بطريقة عصرية¹.

وقد حاول الفاسي الفهري في مجموعة من كتاباته تصحيح بعض التصورات الخاطئة، ومنها كفاية النحو القديم؛ فمن اللسانيين المحدثين من يذهب إلى أن هذا النحو حقق كفاية علمية لدراسة اللغة، وأنه قد استوفى دراسة اللغة العربية، وكل ما يتعين علينا فعله أن نعيد قراءة هذا التراث ونعرضه في صورة جديدة ونسائله فيما يعنُّ لنا من قضايا لغوية، وهو الرأي الذي يرفضه الفاسي الفهري؛ فلا يمكن لنظرية نحوية في نظره، مهما بلغت إحاطتها بالظاهرة اللغوية، أن تفسر كل عناصر اللغة وكذا جملة العلاقات التي تربط هذه العناصر بعضها ببعض؛ إذ «لا ننتظر من أي لساني قديم أو حديث، أن يصف العربية بما لا يدع مجالاً للحاجة إلى وصفها مرة ثانية، فمهما كانت قيمة الأنحاء التي وضعها القدماء، أو المحدثون لهذه اللغة أو غيرها، فإن هناك حاجة إلى إعادة بناء أنحاء أخرى؛ أي آلات أخرى تصف معطيات أخرى وتتنبأ بها»².

ويشير الفاسي الفهري إلى جهود بعض اللسانيين التي تدعو إلى الاستفادة من التراث، غير أن هؤلاء اللسانيين لا ينطلقون في بحثهم من المدونة العامة للغة العربية؛ بل يكتفون بالمعطيات التي استند إليها النحاة القدامى ويعتبرونها شاملة وتمثيلية لمختلف جوانب اللغة العربية، وهو الرأي الذي يرفضه لأن المعطيات المقدمة من النحاة القدامى ناقصة لعدة أسباب؛ إذ «إننا لا ننتظر من أي نحو مهما كان حجمه أن يكون من الشمولية بحيث يزودنا بما يهمنا من المعطيات»³.

ويذهب الفاسي إلى أن المعطيات القديمة ليست ناقصة، أو غير تمثيلية فحسب، بل هي أيضاً معطيات زائفة في بعض الأحيان، ويستدل على ذلك بالأمثلة الاصطناعية

¹ المرجع نفسه، ص 60.

² المرجع نفسه، ص 53.

³ المرجع نفسه، ص 54.

التي يضعها النحاة للتدليل على صحة مذهبهم، يقول: "يمكننا أن نقول إننا على العكس من الفكرة الشائعة التي مفادها أن النحو التقليدي يزودنا بكل ما نحن في حاجة إليه، ينبغي أن نتوقع غياب المعطيات الأكثر دلالة بالنسبة إلى افتراضاتنا، أو تشويهها، أو إنكار بعض النحاة لها، أو اختلافها باختلاف مراحل تاريخ اللغة... إلخ. على أن هذا لا يعني فساد كل المعطيات والتعميمات التي نعثر عليها"¹؛ وهذا يعني أن ما يوفره لنا الدرس النحوي من معطيات تتعلق بالمدونة لا يكفي لاعتبارات عدة، "كما أن المادة محل الدراسة هي نفسها الظاهرة فلا تتحدد مطلقاً بل تتحدد وفقاً لنظرة الباحث انطلاقاً من الإطار المعرفي الذي يشتغل فيه، فكلما غيرنا في أسلوب البحث نظراً ومنهجاً غيرنا في تصور المادة"².

لقد اتخذ الفاسي الفهري من التراث اللغوي العربي موقفاً واضحاً عبّر عنه بقوله: "لا ضرورة منهجية ولا منطقية تفرض الرجوع إلى فكر الماضي وتصنيفاته لمعالجة مادة معينة"³.

فالتراث باعتباره نسقاً فكرياً أنتج في ظروف خاصة، وزمان محدد، ومعطيات متوفرة، وإمكانات معينة، ولا يمكن الأخذ بها كلها في عصرنا هذا -بحسب الفاسي- على اعتبار أن النسق الفكري المحدد يستجيب لجملة من المعطيات، ولا يستجيب لغيرها فالنسق الفكري؛ مبني أساساً على جملة من الفرضيات والمقولات من وضع النحاة، انطلاقاً من استقراءات للمادة المتوفرة، ثمّ موضوعة هذه المقولات موضوعة خاصة مرتبطة بسياق النسق الفكري النظري، وهذه العملية تشبه اللغة؛ إذ إن المفردة اللغوية، أي اللفظة تحمل دلالة خاصة بها تسمى الدلالة الوضعية، أو المعجمية، كما تحمل هذه اللفظة دلالة أخرى مرتبطة بالسياق الذي ترد فيه.

¹ المرجع نفسه، ص 55.

² عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربي (نماذج تحليلية)، ص 23.

³ عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، ص 54.

وقد قام الفاسي الفهري بتحليل مجموعة من الظواهر اللغوية في اللغة العربية أبرز من خلالها نقده للعديد من الظواهر النحوية القديمة ومن ذلك مراجعته للتقديم والتأخير، حيث لاحظ أن البلاغيين القدامى عندما درسوا التقديم والتأخير، لم يفرقوا بين نوعين منه؛ على اعتبار اختلافهما بنيويا، بل أدرجوا التحويلات كلها في إطار واحد، بينما يفرق التوليديون بين نوعين من التقديم هما التأثير والخفق؛ فالاختلاف التركيبي «بين التبئير والخفق يلزمه اختلاف في البنية المنطقية لكل من التركيبين»¹.

2. الاتجاه الداعي إلى التراث:

يتبنى هذا الموقف جل اللسانيين التوليديين العرب الذين صنفناهم ضمن الاتجاه الحداثي:

2.1 ميشال زكريا:

يعد ميشال زكريا واحدا من أهم رواد اللسانيات التوليدية المعاصرين في الثقافة العربية، كما تشهد على ذلك بحوثه ودراساته التي عمل من خلالها على شرح مبادئ النظرية التوليدية وتقديمها للمتلقى العربي وتطبيقها على مجموعة من قضايا اللغة العربية، ومنها:

- الألسنيّة علم (اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، ط 1980.
- الألسنيّة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، (النظرية الألسنية)، ط 1982.
- الألسنيّة التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، (الجملة البسيطة)، ط 1982.
- الألسنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية، ط 1983.
- مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، ط 1983.

¹ المرجع نفسه، ص 124.

■ الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، دراسة ألسنية، ط 1986.

■ بحوث ألسنية عربية، ط 1992.

■ قضايا ألسنية تطبيقية 1993.

ويظهر من خلال استقراءنا لهذه الأعمال أنه بإمكاننا أن نقسم معالجته للنظرية إلى فرعين:

فرع أول عرض فيه النظرية التوليدية تأليفاً أو ترجمة، وفرع ثان طبق فيه النظرية على ظواهر في اللغة العربية.

ويرى ميشال زكريا أن الدرس اللغوي العربي القديم تأسس واكتمل بين القرنين الثاني والرابع الهجري، ف «الوصف اللغوي الخلاق عند القدامى قد بلغ تمامه وانتهى مع ابن جني في القرن الرابع الهجري»¹، وكل ما جاء بعده كان مجرد إعادة أو تلخيص. ولذلك دعا زكريا إلى وجوب إعادة قراءة التراث النحوي قراءة حديثة بغية الاستفادة منه على مستويين هما:

■ المعطيات: وهي المدونة اللغوية التي يمدنا بها التراث النحوي، مع ضرورة أخذ هذه المعطيات من الدرس النحوي القديم؛ لأنه قد تكفل بتوضيحها وتفسيرها².

■ القضايا: وهي المسائل المعالجة، ويرى أن القضايا التي عالجها النحاة القدامى هي نفسها التي تواجه البحث اللساني اليوم؛ لذلك يذهب إلى وجوب العودة إلى التراث للاستفادة من الوصف والتحليل الذي قدمه النحاة³.
ويفسر زكريا موقفه هذا بأن:

¹ ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، ص 19.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسه.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسه.

- اعتماد المعطيات نفسها قد يؤدي إلى اعتماد المنهج نفسه،
 - تبنيّه للقضايا اللُّغويّة التي عالجها النحاة القدامى يعني -فيما يعنيه- أنّه ينطلق من تصور ثبات المرجع؛ أي أن الظواهر محددة سلفا حيث يقول: «وذلك أن القضايا التي تناولها هذا النتاج هي القضايا نفسها التي لا تزال تعترض البحث المعاصر في هذا المجال»¹.
- غير أن موقفه ذاك من الدعوة إلى ضرورة عودة البحث اللّساني إلى الثّراث؛ "لأنّ دراسة اللّغة العربيّة لا يمكن إتمامها بمعزل عن القضايا اللُّغويّة التي أجاد القدماء وصفها وتحليلها"¹.

ويمثل ميشال زكريا لذلك بكتاب نوام تشومسكي (الألسنية الديكارتية)؛ فهو من أهم الأعمال التي ارتدت إلى التراث اللغوي لإظهار التقارب بين بعض جوانبه المهملة، وبين المفاهيم اللسانية؛ ففي هذا الكتاب أظهر تشومسكي التقارب الممكن ملاحظته بين بعض عناصر نظريته، وبين بعض آراء المذهب الديكارتى المعروف باسم "قواعد بور رويال"².

واستنادا إلى هذه المسلمة عقد زكريا مقارنة بين بعض المصطلحات التراثية والمصطلحات اللسانية التوليدية، ومن ذلك (الكفاءة، والإنجاز) التي قابلها بثنائية ابن خلدون (الملكة والصناعة)، وأسند لسيبويه اعتماد حدس المتكلم بدل المدونة كما فعلت التّوليديّة، يقول: "وامتلاك اللّغة يكون عبر ما يسميه ابن خلدون بالملكة اللسانية، وما يسميه تشومسكي بالكفاية اللُّغويّة، وفيما يختص ببحثنا هذا بإمكاننا القول إن التسميتين تتعادلان وتشيران إلى نفس المسمى، وهو القدرة على التكلم"³.

¹ المرجع نفسه، الصفحة نفسه، ص20، الهامش رقم 15.

² ميشال زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، دراسة ألسنية، ص6.

³ المرجع نفسه، ص18.

كما يقارن زكريا بين ثنائية تشومسكي "الكفاءة والإنجاز" وثنائية ابن خلدون "الملكة والصناعة"، يقول: "واضح أن ابن خلدون يميز بين الملكة اللسانية وبين صناعة العربية، وهذا التمييز يقارب التمييز الذي تركّز اهتمامها عليه النظرية التوليدية لمؤسسها نوام تشومسكي والقائم بين الكفاءة اللغوية وبين الأداء الكلامي performance"¹.

ويؤكد في معرض دراسته لمنهج سيبويه أن: "اعتماد الحدس اللغوي لدى العربي الموثوق به قد لاحظناه بوضوح عند سيبويه، فسيبويه يسأل العرب الموثوق بهم حول الجمل العربية المستقيمة ويتأكد، باستمرار، من أنهم كانوا يقولون (أو يتقبلون) بعض الجمل التي تستجد خلال البحث اللغوي"²، وهذا ما أشار إليه في سياق آخر بالقول: "إن سيبويه ... إنما يلجأ إلى العربي للتأكد من أنه يقول الجمل موضوع تحليله أم لا، فالمسألة بالنسبة إلى الجملة العربية المستقيمة هي: هل سمعت هذه الجملة على لسان عربي موثوق به أم لم تسمع؟ وهل يقولها العربي أم لا؟ أو هل يتقبلها العربي من حيث هي جملة مستقيمة بالعودة إلى سلفيته اللغوية أم لا؟"³.

كما يساوي بين سيبويه وتشومسكي في تحديد موضوع النظرية، يقول: "وهذا ما لاحظناه عند سيبويه عندما بيّن أن العربي الموثوق به هو موضوع الدراسة اللغوية من خلال الركون إلى سلفيته اللغوية، فهذا العربي لديه معرفة ضمنية بمواقع الكلام، كما يقول الخليل، وسلفيته اللغوية هي بالذات، جزء من معرفته الضمنية بقواعد لغته"⁴.

¹ المرجع نفسه، ص 24.

² ميشال زكريا، بحوث ألسنية عربية، ص 48.

³ المرجع نفسه، ص 49.

⁴ ميشال زكريا، بحوث ألسنية عربية، ص 47-48.

2.2 مازن الوعر:

لمازن الوعر من الجهود والأعمال اللسانية ما يجعله أحد رواد الدراسات اللسانية الحديثة، ومنها:

■ نحو نظرية لسانية عربية لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، ط1، 1987.

■ قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ط1، 1988.

■ جملة الشرط عند النحاة والأصوليين العرب في ضوء نظرية النحو العالمي لتشومسكي، ط1، 1999.

■ دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة، ط1، 2001.

ويظهر من خلال هذه المؤلفات أنه مطلع على النظريات اللسانية الغربية، بفضل تتلمذه على رواد هذا الاتجاه ومنهم تشومسكي، وعلى التراث اللغوي العربي بفضل تتلمذه على علماء أفاضل من أمثال عبد الرحمن الحاج صالح.

لقد ساعده تكوينه الذي يمزج بين المعرفة اللغوية التراثية والمعرفة اللسانية الحديثة على تبني موقف توفيقي؛ فهو ينظر إلى التراث نظرة حديثة ويحاول تطعيمه بروح الحداثة، مستعيناً في ذلك بنظريات الدرس اللساني الحديث.

وقد أكد مازن الوعر في سياقات مختلفة من كتاباته إلى أهمية خلق حوار علمي بين التراث اللغوي العربي والنظريات اللسانية الحديثة لفهم اللغة العربية بشكل أفضل، وتقادي كل أشكال الصراع بين القديم والجديد، يقول: “إن أساس الصراع بين الأصالة اللغوية والمعاصرة اللسانية ليس صراعاً بين الأعمال اللغوية التراثية التي وضعها العرب القدماء، وبين الأعمال اللسانية المعاصرة التي وضعه علماء اللسانيات المحدثون في الغرب. إن الصراع في جوهره يكمن بين الباحثين العرب أنفسهم، (كامتداد للأزمة

الفردية، التي يعاني منها إنساننا العربي) بين الباحثين الذين يشدهم التاريخ القديم إلى أقصى مسافات اليمين، وبين الباحثين الذين يشدهم التاريخ الحديث والمعاصر إلى أقصى مسافات اليسار، وبهذا فإن المعادلة الثقافية ستكون عرضة للاهتزاز والتفكك، وستحقق معاناة إقامة التوازن بين الأصالة والمعاصرة¹.

ويظهر من خلال هذا النص أن أسباب الصراع، بحسب الوعر، ترجع إلى الخلاف بين الباحثين ما بين متشبث بالتراث رافض لكل جديد، ومنفتح على كل جديد منسلخ عن كل قديم، فيرى أنه ينبغي عدم الانغلاق على النفس والتعصب للتراث بل يجب الانفتاح على كل حديث دون نسيان ما لهذا التراث من خصوصية يتعين على الباحث احترامها.

كما يرى مازن الوعر أن التراث يشكل مصدر اعتزاز وفخر لأبناء العربية الذين يرون أن التمسك به تمسك بالهوية والمحافظة عليها، ولكن لا ينبغي أن يكون الاعتزاز والفخر بالانعزال عن اللسانيات الحديثة والمناهج العلمية الوافدة من الغرب؛ فهذه المناهج وإن كانت غربية إلا أن منطلقاتها الفلسفية وأهدافها النفعية لا تنتمي إلى الغرب فحسب وإنما هي ملك حضاري للإنسان بعيداً عن نطاق الجنس والعرق والهوية والقومية²، فلا يجب أن نفرط في هذا التراث بحجة أن هناك علماً جديداً، ولا نقف في وجه الجديد بحجة أن ذلك يبخس التراث حقه، بل يجب أن نربط الماضي بالحاضر ونستفيد من نتاج ذاك الإرث العظيم وننسجه بحاضر العلوم والمناهج العلمية المتقدمة، كما أنه يجب أن تكون الفكرة الرئيسية في البحث العلمي “أنه لا سابق دون لاحق ولا لاحق دون سابق، وكل من يُنكر هذا القانون العلمي إنما نظرته إلى الظواهر هي نظرة شخصية وليست نظرة موضوعية”³.

¹ مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص 354-355.

² مازن الوعر، دراسات تطبيقية، ص 39.

³ المرجع نفسه، ص 32.

فينبغي لنا أن نسعى إلى فهم هذا التراث بشكل صحيح، كما ينبغي أن نفهم اللسانيات ونجعل منها محفزا لعودة الباحثين إلى التراث فيجمعونه ويدرسونه ويدققونه ويجعلونه في المكانة الصحيحة في مجال البحث العلمي، ولا يجعلون منها -أي اللسانيات- عائقا أو تهديدا للتراث اللغوي العربي بل يجب أن تكون وسيلة لاستنطاق التراث ودحر الإشكاليات التي تربك المتلقي وتجعله يعرض عن هذا العلم الوافد.

ولتلافي هذه الإشكاليات ينبغي أن نفصل مسألة مقارنة التراث اللغوي العربي عن مسألة التأصيل والدفاع عن الخصوصية، وأن يوصل البحث في خصائص النظام اللغوي العربي بخصائص النظام الصوري في النظام اللغوي الحديث؛ بمعنى أن تقوم دراسة الأعمال اللغويين القدامى على استخلاص أهم المحاور العلمية المحكمة وموازنتها بمحاور اللسانيات المعاصرة، مع مراعاة الخلفية الإبيستمولوجية لتلك الأعمال وما تمتاز به من البساطة والدقة والشمول، وأن تكون مناسبة -أي الموازنة والوصف والتفسير- لكل مستوى من مستويات اللغة: صوتياً، أو صرفياً، أو تركيبياً، أو دلالياً، أو تداولياً.

3.2. خليل عمايرة:

يعد خليل عمايرة واحداً من الباحثين المعاصرين الذين تناولوا الدرس والتحليل التراث اللغوي في ضوء النظرية التوليدية التحويلية في محاولة للربط بينهما، وقد عبر عن ذلك في دراسات عديدة منها:

- “رأي في بعض أنماط التركيب الجملي في اللغة العربية في ضوء علم اللغة المعاصر”، 1982م.
- “البنية التحتية بين تشومسكي وعبدالقاهر الجرجاني” 1983م.
- في نحو اللغة وتراكيبها؛ منهج وتطبيق، عالم المعرفة، ط1، 1984م.
- “حلقة الوصل بين الألسنية الحديثة والنحو العربي” 1994م.

إن جهود اللغويين العرب لا تقل في شيء عن جهود اللسانيين المعاصرين، يقول: "إن الناظر في المؤلفات القديمة، اللغوية والنحوية، يدرك قيمة هذا التراث الضخم الذي تركه لنا السلف، ويدرك أيضا الجهد والمعاناة التي بذلها اللغويون والنحاة في جمع مادتهم ودراستها والتمعن فيها لتقعيد القواعد النحوية ووصف الظواهر اللغوية على كحد لا يقل عما يقوم به الباحثون اللغويون المعاصرون، فقد قاموا بجمع كمية كبيرة من المعطيات (الشواهد) وتدوينها ثم تصنيفها إلى مستويات لغوية: صوتية Phonetics، وصرفية Morphological، وتركيبية Syntactic structures، ثم قاموا بوضع العناصر اللغوية التي يمكن أن تكون في مجموعها نظرية لغوية متكاملة، لا تقل عن النظريات اللغوية لعلماء اللغة المعاصرين في الغرب والشرق"¹.

وقد عمل في بعض هذه الدراسات على ربط النظرية التوليدية بقضايا النحو العربي، ومما انتهى إليه "أنه يمكن تجميع أطر التراكيب الجمالية المحولة في عدد من الأبواب الكبرى المصنفة تبعا للمعنى فيكون للنفي باب نحوي وللتوكيد باب ثان وللشرط باب ثالث وهكذا في سائر الأبواب، فهو يدعو إلى إعادة تبويب النحو العربي وترتيبه وتصنيفه تصنيفاً دلالياً ليسير المعنى إلى المبنى في خطين متوازيين يؤديان إلى نتيجة واحدة هي تمكين الطالب والمعلم من فهم التعابير العربية فهما وتحدثا وكتابة"².

وتتميز جهود عمارة بفهمه الدقيق للنظرية التوليدية في مصادرها، وهذا ما نجده واضحا في كتابه "في نحو اللغة وتراكيبها؛ منهج وتطبيق" وفي بحثه "حلقة الوصل بين الألسنية الحديثة والنحو العربي"، فقد عرض في هذا البحث لأهم مصطلحات النظرية التوليدية وشرحها شرحا ضافيا ينم عن فهم دقيق، وعندما يلجأ إلى الحديث عن شبه بين

¹ خليل عمارة، البنية التحتية بين تشومسكي وعبدالقاهر الجرجاني، ص 88.

² خليل عمارة، في نحو اللغة وتراكيبها؛ منهج وتطبيق ص 87.

التراث اللغوي العربي واللسانيات فإنه يدرك حدود ذلك التشابه ويقيمه على رأي علمي
سديد.

4.2. محمد حماسة عبد اللطيف:

يعد محمد حماسة عبد اللطيف من الباحثين المعاصرين الرواد، وهو يمثل الاتجاه
التوفيقي في كتاباته فنجد في كتابه (الأنماط التحويلية في النحو العربي) يتناول مفهوم
التحويل عند المحدثين والنحاة القدامى، ويعرض لأنماط من التحويل في العربية.

إن مبدأ التحويل (*Transformation*) الذي يعتبر أساس النظرية التحويلية
التوليدية يحضر في النحو العربي كما يظهر في نظريته القائمة على افتراض أصل
مقدر وتركيب ظاهر منطوق أو مكتوب، وأن في النحو العربي القديم ما يقترب من
مصطلح ومفهوم التحويل نوعاً ما، لكن يبقى لكل منهما شكله بحسب النظرية التي نشأ
فيها وسار وفق أبعادها وهدفها من التحليل اللغوي¹.

كما يرى أن التحويل في النظرية التحويلية التوليدية هو تغيير تركيب لغوي إلى
آخر وذلك بتطبيق قانون تحويلي أو أكثر، كالتحويل من جملة إخبارية إلى جملة
استفهامية، بمعنى أنه وصف العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية؛ أي العلاقة بين
التركيب الأصلي الباطني (العميقة) والتركيب الظاهري (السطحية)، وينظر حماسة إلى
الأخرى على أن وظيفتها هي الوصف الذي يحدد الصيغة الصوتية للجمل، وأما الأولى
فوظيفتها هي التفسير الدلالي للجمل، وإن كانت السطحية تقدم أحياناً بعض التفسير
الدلالي للجمل.

¹ ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، من الأنماط التحويلية في النحو العربي، ص 9-37.

وتبقى العلاقة بين البنيتين العميقة والسطحية في نظر حماسة رهينة بعض القواعد التي تحكمها كالحذف والإضافة والاستبدال وإعادة الترتيب¹، كما يرى أن هذين المفهومين متواجدين عند النحاة القدامى، غير أنهم عبروا عنهما بمصطلحات أخرى كقولهم عن البنية العميقة: حقيقته كذا، أو أصله كذا، أو قياسه كذا، أو على تقدير كذا، وقولهم عن البنية السطحية: المحول أو المنقول إليه، أو الحالة الفرعية، أو الصورة، أو المغير من الجمل.

ويرى حماسة أنه إذا كان التحويل الحديث يقوم على أساس وجود بنيتين (عميقة وسطحية) لكل جملة منطوقة، وأن قواعد التحويل تعمل على نقل البنية العميقة من كونها فكرة مجردة إلى متحركة صوتية، فإن هذه الفكرة تظهر بوضوح عند النحاة القدامى عند تطبيقهم لفكرة المواءمة بين العمق والسطح الظاهر؛ فهناك معيار أو أصل تجريدي يقوم المتكلم بتحقيقه وإخراجه إلى حيز الوجود والأول أساساً للآخر. كما نجد حماسة في بحثه يثبت أن في النحو العربي أنماطاً تحويلية أخرى².

ويعرض حماسة في نهاية بحثه أن مفهوم التحويل في الجملة العربية قد يشمل التحويل الدلالي كما نرى عند البلاغيين العرب، فتجد الجملة تأتي على تركيب والمراد به دلالة تركيب آخر، كتحويل الاستفهام إلى تعجب أو تقرير وغيرها من التحويلات.

وقد يبدو حماسة في تحليله تراثياً إلى أبعد الحدود، لكن إشارات كثيرة في بحوثه تشير إلى وعيه بحدود التشابه والاختلاف بين المعرفة اللغوية والمعرفة اللسانية، ومن ذلك قوله: “ومهما تكن أسباب هذا التشابه أو التقارب في أسس المعالجة فإنه ينبغي ألا نعد ذلك من جانبنا شهادة للنحو العربي، بل قد أبالغ فأقول، وبغير تواضع كاذب أو ادعاء خادع، إن العكس هو الصحيح؛ أي أن هذا التقارب أو التشابه قد يعد شهادة

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص 13-14.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 12.

لنظرية تشومسكي، على أن ذلك أيضا ينبغي أن يكون بغير فرح طفولي ساذج يشغلنا عن فهم الجديد وفهم القديم معا¹. ويقول في سياق آخر: “ولا شك أن كل فكر حديث متميز يفيد في فتح زاوية جديدة من زوايا النظر إلى ذلك الهرم القديم الشامخ الذي يكاد إلغاه واعتيادنا عليه يفقدنا دقة النظر فيه والتنبه لما يحتوي عليه ولما ينخر فيه على السواء”، ويزيد الأمر تأكيداً بقوله: “ولم يكن في الوسع حشد كل أنماط التحويل في العربية في هذا البحث، ولذلك لم يكن ثمة معدى عن الاختيار، والاكتفاء بما يكون دليلاً على ما وراءه، على أنني أقرر منذ البدء أنني أشير إلى هذه الأنماط التحويلية كما عالجها النحاة القدماء لا كما يعالجها التحويليون المحدثون، إذ إنني لا أهدف إلى تطبيق النظرية التحويلية على اللغة العربية بل إنني أشير فحسب إلى طريقة النحويين العرب التي تتشابه في أصولها مع الطريقة التحويلية الحديثة؛ ولذلك ذكرت في عنوان البحث عبارة “في النحو العربي” ولم أقل “في اللغة العربية” إشارة إلى هذا المعنى².

5.2. نهاد الموسى:

يعد نهاد الموسى واحداً من رواد البحث اللساني العربي المعاصر؛ فقد قدم دراسات وبحوث تسعى إلى التوفيق بين التراث اللغوي العربي والدراسات اللسانية الحديثة، وله منهجه الواضح في دراسة اللغة، ولعل كتابه “نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث” من أهم الدراسات التي حاول فيها قراءة النحو العربي في ضوء الدراسات اللسانية الحديثة منتفعاً بها متمسكاً بثوابت التراث اللغوي العربي.

وقد تركزت جهود نهاد الموسى في محورين:

¹ المرجع نفسه، ص 6.

² المرجع نفسه، ص 7.

الأول: درس أعمال النحاة العرب درسا منهجيا تحليليا، استطاع من خلاله إغناء اللغة العربية بأصول أضافت إلى بنیان النظرية اللغوية العربية الحديثة.

والثاني: حاول قراءة النحو العربي قراءة مقرونة برؤية مفتوحة على اللسانيات الحديثة من أجل الإبانة عن وجوه استثمارها والانتفاع بها، وهو يتمسك بثوابت الدرس اللغوي تتجلى في قراءات مستأنفة لظواهر العربية وتحليل عميق لقضاياها على نحو يُسهّل عملية الانتفاع بما طوره اللغويون الغربيون. فضلا عن نظرتة للعلم بأنه عبارة عن سلسلة من الحلقات، كل حلقة ترتبط بأختها السابقة واللاحقة¹.

ويعيب نهاد الموسى على الباحثين المعاصرين ادعاءهم السبق في التنظير، ويصف ذلك بالزهو العلمي غير الموضوعي، فيرى أن الباحثين المعاصرين “أصبحوا يقررون أن نظرياتهم ذات البريق لم ينبثق من الفراغ، ويحاولون أن يلتمسوا أصولها في التقليد الغربي، ويعترفون بأنهم لم يقفوا على جهود اللغويين غير الغربيين، مع أنهم موقنون بأنها تنطوي على أنظار قيمة”². كما يرى أن هناك من الباحثين من يتخذ له من النظريات نظرية يستلهم منها مفاهيمها وأساليبها الإجرائية حتى وإن كانت لا تتناسب مع اللغة العربية، فهناك من الباحثين المعاصرين من اتخذ من اللسانيات التوليدية محورا يقيس مدى تقدمه، وذلك أنه عندما “طفرت -النظرية التوليدية التحويلية- بمنزلة فذة بين مناهج النظر اللغوي في العالم قديما وحديثا، أصبحت كل نظرية لغوية أخرى تحاول أن تحدد موقعها وفقا على درجة علاقتها بأنظار تشومسكي في مسائل بأعيانها”³.

¹ معالي هاشم أبو المعالي، الاتجاه التوفيقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، ص 85.

² نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، ص 9.

³ المرجع نفسه، ص 16.

ولم يغفل الموسيقى في محاولاته للتوفيق بين التراث اللغوي العربي واللسانيات الحديثة أهمية الخلفية المعرفية لكل من الدراسات اللغوية والدراسات اللسانية، يقول: “فإنني أقمت مقابلاتي في مواضع كثيرة على أمثلة من معالجات للنحويين العرب قدرت أنها متلاقية مع أصول في مناهج النظر اللغوي الحديث”¹. فوجد الباحث في دراسته يقابل بين اللغويين القدامى وبين التوليديين، ففي حديثه عن أصول النظرية التوليدية التحويلية، يقارب بين نقد تشومسكي للبنويين ويرى أنه يماثل نقد ابن هشام للمعربين؛ لأن البنويين قبل تشومسكي لم يهتموا بالمعنى، كما أن المعربين في إعرابهم لم يهتموا بالمعنى².

كما أن الموسيقى يرى أن تشومسكي قد تأثر بالنحو العربي في نظريته، وهو بذلك لا يقصد التشابه بين النحو العربي والنظرية التوليدية التحويلية، بل يرى إمكانية أخذ تشومسكي من النحو العربي فيقول: “وليس تقرير الشبه بين ابن هشام وهومبليت ثم تشومسكي من هذه الجهة محتاجا إلى أن يتكلف له التأويل”³.

وفي تعليق له على هذا النص في الهامش يتتبع الموسيقى مسار المفاهيم النحوية حتى وصلت إلى تشومسكي فيقول: “إن التشابه يغري بالتأمل، ويقوي معه الهاجس بأن هذه المسألة قد تكون بعض ما ورد على الغرب من العرب في إطار (انتقال العلم العربي إلى الغرب اللاتيني). وذلك أن (المستعرب) سلفستردى ساسي -كان متضلعا من علوم العربية-، وما أنتجه من الدراسات في نحو العربية وما ترجمه إلى الفرنسية من كتب النحو والتجويد القديمة يدل بوضوح على أنه أدرك إدراكا لا بأس به مفاهيم ومناهج النحاة العرب. ودي ساسي هو الذي كون فون هومبليت وغيره، وأهم شي اكتسبه هؤلاء من دروس دي ساسي هو اطلاعهم من خلال دراستهم للعربية واللغات السامية

¹ المرجع نفسه، ص 19.

² المرجع نفسه، ص 46.

³ المرجع نفسه، ص 54.

الأخرى على المفاهيم اللغوية والنحوية العربية التي كانت تنقصهم في ثقافتهم الفيلولوجية التقليدية، وهو يمثل في زمانه ذلك المذهب الذي تناقله عدد من العلماء منذ القرن الثالث عشر عن طريق جيمس هارس وسنكتيوس الإسباني عن النحاة العرب مباشرة أو عن لغوي السكولاستيك عن فلاسفة العرب. وتلا دي ساسي في العمل بهذه المبادئ تلميذه فون هومبلت¹.

يظهر من تتبع أفكار نهاد الموسى في دراساته أهمية التراث اللغوي العربي وما يحمل في طياته من ظواهر لغوية يمكن مقابقتها ومقاربتها مع بعض المفاهيم اللسانية الحديثة، كما بين لنا مناهج الدراسات اللسانية الحديثة، وأشار لأهمية دراستها والإفادة منها في تطوير النحو العربي، انطلاقاً من رؤية واضحة ودراية عميقة بمنطلقات الدراسات اللغوية التراثية والدراسات اللسانية الحديثة واختلاف موضوعها ومنهجها وغايتها.

وخلاصة ما ننتهي إليه أن هؤلاء اللسانيين على الرغم من لجوئهم في كثير من الأحيان إلى استحضار معطيات التراث اللغوي العربي أو عقد مقارنة بينها وبين المصطلحات التراثية العربية، فإنهم يبتعدون عن القراءة الضوئية وعن الإسقاط، كما أن تحليلاتهم تتم عن دراية عميقة بالاختلاف القائم بين الدرس التوليدي التحويلي والتراث اللغوي العربي، وهذا ما لا نجد وعياً به في الكتابات التي وصفناها بالإيديولوجية.

المبحث الثاني: التراث اللغوي في الكتابة اللسانية التوليدية الإيديولوجية:

يتخذ هذا الاتجاه "التراث اللغوي العربي القديم في شموليته موضوعاً لدراساته المتنوعة. أما المنهج الذي يصدر عنه أصحاب هذه الكتابة فهو ما يعرف عادة بمنهج القراءة أو إعادة القراءة. ومن غايات لسانيات التراث وأهدافها قراءة التصورات اللغوية القديمة وتأويلها وفق ما وصل إليه البحث اللساني الحديث والتوفيق بين

¹ المرجع نفسه، ص 54-55.

نتائج الفكر اللغوي القديم والنظريات اللسانية الحديثة، وبالتالي إخراجها في حلة جديدة تبين قيمتها التاريخية والحضارية"¹.

1. مسوغات التقريب وأهدافه:

1.1. المسوغات:

ينبني التقريب بين التراث اللغوي العربي واللسانيات على مجموعة من المسوغات:

■ سبق العرب التاريخي والحضاري في مجال الدراسات اللغوية: فقد اتسمت الحضارة العربية "قبل كل شيء بالمقوم اللفظي، حتى كاد تاريخ العربي يتطابق وتاريخ اللفظ في أمته، ولم تكن معجزة الرسول إليهم إلا من جنس حضارتهم في خصوصيتها النوعية، وهذا ما استقر لدى المفكرين منهم منذ مطلع نهضتهم"². ولذلك من الطبيعي أن يكون للعرب السبق في كل ما يتصل بالدراسات اللغوية؛ إذ يجد الناظر في مسيرة البحث اللغوي نفسه "أمام شريط ممتد يحوي سلسلة من المشاهد، يكاد يشده فيها المشهد الأخير، فيحاول استعادته في حركة بطيئة يتكشف خلالها أن هذا المشهد ما هو إلا تكثيف لما سبقه من مشاهد، وتبلور لما سبقه من جهود، وكأنما الأمر فيه أصبح بمثابة قضية منطقية لها مقدماتها التي تتبعها بالنتيجة مترتبة عليها"³.

■ العامل الديني: وهو عامل ساعد العرب على الاهتمام إلى تفاصيل لسانية كثيرة "وهم يرسون قواعد لغتهم، ويضعون قوانينها، من خلال العمل اللغوي الجاد الذي قام به فحول علمائهم لخدمة كتاب الله العزيز. وقد

¹ مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 92.

² عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 24.

³ محمد عبد المطلب، النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، ص 25.

استطاعوا -بدأ بهم على البحث والدرس- أن يقيموا الدعائم الوطيدة لـ(علم اللغة)¹.

■ الأصول التراثية للسانيات: تأسست مجموعة من الأنظار اللسانية على منطلقات تراثية؛ فقد «جاء كتاب "الألسنية الديكارتية" ليكون مثالا حيا على اهتمام العلماء اللغويين المحدثين بضرورة العودة إلى التراث اللغوي، من أجل إظهار مواضع التقارب بين بعض جوانبه المهملة، وبين المفاهيم اللغوية الحديثة. لقد استطاع تشومسكي (N.Chomsky) في هذا الكتاب أن يقف على عديد من العناصر التي تمثل التقاء واتفاقا بين معطيات نظريته التوليدية التحويلية وبين القواعد التي أرساها ديكارت فيما يعرف باسم قواعد بورت رويال².

فقد كان من مظاهر اكتمال علم اللسانيات على الرغم من قصر الزمن الذي قطعه أن رواده عكفوا على التراث اللغوي القديم يدرسونه، ويستلهمون منه ما يسهم في إرساء دعائم لسانيات حديثة، تأخذ مكانها اللائق ضمن العلوم الإنسانية³.

ولا ينحصر الربط بين القديم والحديث فيما جاء به تشومسكي وحده، بل يشمل هذا الربط لسانيين آخرين "ربطوا بين الفكر اللغوي القديم، ونظريات البحث اللغوي الحديث والذين أرخوا له، من منطلق اهتمامهم بهذا الجانب، نذكر كلا من لوروا (M. Leory) وليبتشي (G. C. Lepschy)، وكذلك جورج مونان (G. Mounin) وكريستيفا (J. Kristeva) وروبنز (R. M. Robins)⁴.

¹ انظر: عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، (التقديم).

² حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ص2.

³ عبد الله أحمد جاد الكريم، في الفكر البنيوي التحويلي في خصائص ابن جني، ص2.

⁴ حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب، ص2.

2.1. الأهداف:

إن الرجوع إلى تراثنا اللغوي يكشف عن وجوه الشبه بين التراث اللغوي العربي واللسانيات التوليدية، ويكشف سبق العرب وتفوقهم؛ فـ"كتب فقه اللغة العربي من تراثنا اللغوي، حقا تبعث على الإعجاب والإكبار؛ إذ يظهر في شيء غير قليل من قضاياها سبق بعض العلماء القدامى لأحدث النظريات اللغوية في العصر الحديث بألف عام أو يزيد (...). ففي هذه الكتب وغيرها علم كثير، ونظريات لغوية تقف شامخة أمام بعض ما وصل إليه العلماء في عصر التكنولوجيا الحديثة والعقول الإلكترونية"¹.

فالغاية إذن، هي "إبراز قيمة التراث العربي وإعطائه المكانة التي يستحقها ضمن الفكر اللساني الحديث. وتتفق لسانيات التراث حول هذا المنطلق، لكنها تختلف بعد ذلك في ما تنتهي إليه من نتائج أو على الأصح فيما تهدف إليه من وراء "قراءة التراث اللغوي"².

ولذلك نجد من يعتبر وصل التراث اللغوي بالمنهج الحديث واجبا علميا وقوميا. وهذا رأي عبده الراجحي الذي يقول: "الاتصال بالتراث من ناحية، والاتصال بالمنهج الحديث في تطوره السريع من ناحية أخرى، واجب علمي، وواجب قومي، لا ينبغي أن يكون في ذلك خلاف، ولعلنا من البحث في المنهج أن نصل يوما إلى منهج علمي لدراسة العربية"³. كما أن هذا الوصل يكشف عن إسهام العرب في بناء الحضارة الإنسانية؛ وذلك سبيل لانتزاع اعتراف العالم بمدى المساهمة الإيجابية للأمة العربية في الحضارة الإنسانية⁴.

¹ رمضان عبد التواب، التراث العربي ومناهج المحدثين، ص101.

² المرجع نفسه، ص137.

³ عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص7.

⁴ جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز، ص7.

كما أن في ذلك إكراما لقدامى نحويينا المسلمين الذين مهدوا لنا السبيل، وتركوا لنا الطريق مهيناً بما أودعوه في أمهات كتبهم من لباب عقولهم جمعا ومنهجاً¹، فقد "ترك العرب آثارا لا يستهان بها (...) من واجبا الاطلاع عليها لإبراز دورهم في تاريخ الدراسات اللغوية ولبيان مكانة بحوثهم من علم اللغة الحديث"².

2. من مظاهر التقريب بين التراث اللغوي العربي واللسانيات التوليدية الحديثة:

يمكن أن نقف على وجوه للتقارب بين التراث اللغوي العربي واللسانيات التوليدية في الاتجاه الإيديولوجي على مستويين؛ مستوى الأفكار، ومستوى المصطلحات.

1.2. الأفكار:

إن الأفكار التي تحدث عنها النحاة العرب والمسلمون في كتبهم ودراساتهم هي نفسها الأفكار التي يتحدث عنها التوليديون اليوم؛ فالعرب والمسلمون اهتموا إلى تلك الأفكار "منذ ثلاثة عشر قرناً من وهذا أمر لا جدال فيه ولا مراعاة. ويعرفه كل من له أدنى اطلاع على أمهات كتب النحو العربي القديمة منها والحديثة سواء. في حين لم يعرف الغربيون هذا الضرب من البحث اللغوي إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، ويتأثر واضح بالأعمال العربية القديمة في لغاتهم وآدابهم. وإن أغفلوا أو أهملوا نسبتها إلى العرب؛ وهذا هو الغرض الثاني للبحث: أي الكشف عن أوجه هذا التأثير في النحو الغربي المعاصر، وعلى الأخص النحو التوليدي التحويلي، وهو من

¹ نور الدين رايس، "الأخاء القديمة واللسانيات الحديثة، حصيلة وآفاق"، ص 39.

² هيام كريدية، "مكانة البحث اللغوي العربي القديم من علم اللغة الحديث"، ص 67.

أحدث النظريات اللغوية وأهمها؛ الذي يعد العالم النحوي الأمريكي (اليهودي) الشهير نوم تشومسكي مؤسسه وأكبر دعاة¹.

ويرى حسام البهنساوي أن "نظرة مقارنة دقيقة بين الأسس التي اعتمدت عليها المدرسة التوليدية التحويلية، وبين القواعد النحوية التي أرساها العلماء العرب، لتؤكد لنا أن النحو العربي لم يكن بعيدا عن هذه الأسس والأفكار"². وهذا رأي الراجحي أيضا، الذي وجد أن "طريقة النحو التوليدي تتبع عددا من "العمليات النحوية" تشبه شبها غير بعيد كثيرا مما جاء في النحو العربي"³.

وبذلك شكلت أفكار اللغويين العرب "الأساس الذي بنى عليه الغربيون مستحدثاتهم في مختلف الدراسات اللغوية، وهي -إن نسبت إلى علماء الغرب في مظهرها الحالي- فإن الناظر في جوهرها، يلمح فيها الأصل العربي، الذي نمت وتفرعت من جذوره والفضل -كما يقولون- لمن بدأ الطريق الشاق"⁴.

الثابت إذن، أن إجابة التوليديين عن كثير من القضايا اللغوية يعود الفضل فيه إلى لغويينا العرب؛ يقول أحد الباحثين: "إن العلماء الغربيين قد أولوا تراثنا العربي اهتماما واعتبارا، وجاءت جل أعمالهم من العمق والتحليل والدراسة بالقدر الذي يجعلنا نؤكد أنهم استطاعوا الإجابة عن كثير من القضايا والمشاكل اللغوية [...] مكنهم من الوصول إلى هذه الإجابات، إحاطتهم الواسعة باللغات السامية الأخرى، ومن ثم جاءت دراساتهم

¹ جاسم علي جاسم، وزيدان علي جاسم، "نظرية التقدير عند النحاة العرب والمسلمين وأثرها في نحاة الغرب المعاصرين تشومسكي مجدد النحو العربي"، ص 1.

² حسام بهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب...، ص 30.

³ عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص 140.

⁴ عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، ص 31-32.

في الربط بين التراث اللغوي العربي القديم، ونظريات البحث اللغوي الحديث، فقد جاءت هذه الدراسات على نحو من الدقة¹.

ويبرر بعض الباحثين التشابه الموجود بين التفكير اللغوي عند العرب واللسانيات التوليدية بتكوين تشومسكي ودراساته؛ فقد أشار عبد الرحمن الحاج صالح إلى أن كثيراً مما جاء به اللسانيون الغربيون نقل إليهم في إطار انتقال العلم العربي إلى الغرب اللاتيني عن طريق الأندلس، وأن كثيراً من الدراسات النحوية والصوتية قد ترجمت إلى اللغة الفرنسية بترجمة كتب النحو والتجويد، وأبرز من تأثر بهذه الدراسات المستشرق (دي ساسي) وهذا الأخير هو من كون فكر (فون هومبالت)، الذي تأثر به تشومسكي في فطرته اللغوية²، وكانت بمثابة الباعث على وضع المنهج التوليدي.

وهي الفكرة نفسها التي يؤكد عليها علي زوين بالقول: "نرى من الضروري الإشارة إلى أن تشومسكي قد درس العربية القديمة وكان يُعتبر من المبرزين فيها وربما درس أصول النحو العربي عن طريق المترجمات العبرية في الأندلس، وهي مترجمات نقلت قواعد النحو العربي وطبقته على العبرية، ومن هنا يمكن أن نفترض تأثر تشومسكي، والمدرسة التحويلية بالدراسات اللغوية العربية"³.

وهذا رأي محمد عبد المطلب أيضا الذي يشير إلى إفادة تشومسكي من الجهد العربي في الدرس اللغوي والنحوي، فقد ذكر أن تشومسكي "قبل أن يبدأ دراسة اللسانيات العامة كان مشغولاً ببعض الأبحاث التي تدور حول اللسانيات السامية، وأنه قد درس هذا مع مستشرق يعرف العربية وآدابها وهو الأستاذ (فرانز روزنتال)، وأنه كان مهتماً بالتراث العربي والعبري، بالإضافة إلى أن دراسته المبكرة كانت تدور حول

¹ المرجع نفسه، ص 9.

² عبد الرحمن الحاج صالح، "مدخل إلى علم اللسان الحديث"، ص 9-10.

³ علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة، ص 44.

النحو العبري في العصور الوسطى، وكان أبوه متخصصاً في النحو العبري والعربي في هذه المرحلة، وقد درس النحو على يديه، كما درس في أثناء فترة تلمذته بجامعة بنسلفانيا النحو العربي الحديث، والنحو العربي في القرون الوسطى¹.

2.2. المصطلح اللساني²:

للمصطلح أهميته البالغة في تحديد الخطابات العلمية والتوجهات الفكرية، فهو "مجمع حقائقها المعرفية وعنوان ما به يتميز كل واحد منها عما سواه. وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية"³. فالمصطلحات هي من يضع حدود العلوم؛ فهي ألفاظ لها مدلولات وتحفظ مفاهيمها، وتنظم علاقاتها في إطار التخصص. فكل علم معجم مصطلحي خاص يقوم على المواضعة المضاعفة. و"إن البنية المصطلحية في صلب الخطاب اللساني لا تقف أهميتها عند كونها سلسلة من الدوال الواجب تواجدها فيه بمدلولات معينة، بل كبنية مستقلة تشكل وعياً لغوياً بمفهوم أو تصور معين، وهي إلى جانب ذلك وليدة مناخ ثقافي أو فكري معين تم فيه بسط الظاهرة اللغوية وأن أي استغلال لهذه البنية في غير مجراها أو اتجاهها اللساني الذي أفرزها قد يفضي إلى عدم وضوح الرؤية والالتباس المفاهيمي"⁴. ويعد الخلط في المصطلحات من بين الإشكاليات التي تواجه الدرس اللساني الحديث؛ وذلك لما في إشكالية المصطلح من إحداث الفوضى والخلط واللبس بين مصطلحات اللسانيات الحديثة والتراث اللغوي العربي.

هناك العديد من المصطلحات التراثية اللغوية العربية التي تناولها الباحثون المعاصرون من العرب وعملوا على إظهار أوجه التشابه والتقارب بينها وبين

¹ محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، ص 90.

² ما تقدمه هنا للتمثيل لا الحصر، لأن وجوه المقارنة كثيرة، وقد اعتمدنا الترتيب الأبجدي للمصطلحات.

³ عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص 43.

⁴ يوسف منصر، الخطاب اللساني المغربي، ص 84.

المصطلحات اللسانية التوليدية التحويلية، فنرى عاطف عبد العزيز معوض يرى أن " الأصول والقواعد التي أشار إليها تشومسكي لها جذور في تراثنا النحوي العربي، فقد أدخل النحاة القدامى فكرة التحويل على قواعد اللغة العربية - وإن لم يدركوا هذه التسمية- فما تحدث عنه النحاة من قواعد تشمل: التقديم والتأخير، والحذف والزيادة، والتقدير والتأويل، والحمل على المعنى... هذه القواعد، يعد جزءاً من القواعد التي استخدمها تشومسكي وطورها.

وقد تنبه الباحثون الذين صنفناهم ضمن الكتابة التوليدية الإيديولوجية إلى أهمية المقارنة بين المصطلحات التراثية العربية كما جاءت عند اللغويين العرب وما يعتقدونه مقابلات لها في اللسانيات التوليدية، وهذا ما سنعرض له

2.2.1 الأصل والفرع :

وقد عبر عنها اللغويون من خلال حديثهم عن النكرة والمعرفة، فقرروا أن النكرة أصل والمعرفة فرع، وأن المفرد أصل الجمع، وأن المذكر أصل للمؤنث... وأن التصغير والتكسير يردان الأشياء إلى أصولها¹، كما تحضر قضية الأصل والفرع في حديثهم عن ظاهرة "القلب المكاني"².

"إن المنهج التحويلي رأى أن قضية الأصلية والفرعية قضية أساسية في فهم البنية العميقة وتحويلها إلى بنية سطحية... وقد عرض التحويليون لقضية الأصلية والفرعية في مواضع مختلفة منها بحثهم للألفاظ ذات العلامة **Marked** وتلك التي بلا علامة **Unmarked** وقرروا أن الألفاظ غير المعلمة هي الأصل وهي أكثر دورانا في الاستعمال، وأكثر تجردا ومن ثم أقرب إلى البنية العميقة... والمفرد أصل والجمع فرع. وظاهرة الأصلية وما يحمل عليها من الفرعية ظاهرة هامة للغاية عند سيبويه،

¹ عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص 143-144.

² المرجع نفسه، ص 145.

فقد أولاهما عناية كبيرة، واتسعت في منهجه لتشمل معظم المستويات اللغوية في الجملة، بل لا نبالغ إذا قلنا إنها تشمل معظم المنهج اللغوي عنده، فهي ترتبط بالمستويات اللغوية وهي: المستوى التركيبي، والمستوى الصرفي، والمستوى الصوتي، والمستوى الدلالي. كما يمكن أن ترتبط أيضا بعدد كبير من الظواهر منها ظاهرة العامل، وظاهرة الاختصاص، وظاهرة التقديم والتأخير، وظاهرة النوع، وظاهرة العدد، وظاهرة الحالة، وظاهرة النطق الإعرابي¹.

2.2.2 البنية العميقة والبنية السطحية:

البنية العميقة Deep structure والبنية السطحية surface structure: فالبنية السطحية هي البنية الظاهرة المنطوقة، التي تمثل الجانب الصرفي والصوتي للبناء اللغوي، وترتبط بالبنية العميقة، والبنية الظاهرة هي الشكل المنطوق والمسموع عند سيبويه، وقد أولى سيبويه اهتماما كبيرا بسماع هذه البنية المستعملة من أصحاب اللغة الموثوق بعربيتهم، لأن صاحب اللغة أقدر على نطق لغته من غيره، فهي ملكة عنده يتحدثها بطريقة عفوية وسهلة.

أما البنية العميقة فهي تمثل النموذج التجريدي المرتبط بالمعنى بواسطة العلاقات النحوية بين عناصره، وهي تقارب في المفهوم مصطلح "التقدير" عند سيبويه، فالتقدير النحوي عند سيبويه يربط بجانبين:

الأول: المماثلة بين تركيبين في الشكل والترتيب مع اختلاف المعنى،

الثاني: شرح المعنى الدلالي المراد من التركيب².

¹ فكري محمد أحمد سليمان، "التقدير عند سيبويه والمنهج التحويلي"، ص ص 259 - 258.

² المرجع نفسه، ص 250.

يرى رمضان عبد التواب أن هناك تماثلاً واضحاً بين مفهوم البنية العميقة والبنية السطحية عند تشومسكي ومفهوم الحذف عند سيبويه، يقول: "وانظر إلى سيبويه يتحدث عن حذف المبتدأ فيقول: "هذا باب يكون المبتدأ فيه مضمراً، ويكون المبنى عليه مظهراً، وذلك أنك رأيت صورة شخص، فصار آية لك على معرفة الشخص، فقلت: عبد الله وربي، فكأنك قلت: ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله". فجملة "عبد الله وربي" هي التركيب الظاهر، والتركيب المقصود فيها هو: "ذاك عبد الله وربي" تماماً كما يرى التحويليون"¹.

وهذا ما يذهب إليه قدامة بن جعفر أيضاً؛ عندما أكد أن المعاني هي أساس الدراسة اللغوية، فبحث "في بنية العبارة العميقة الصانعة لبنية الجملة العميقة والسطحية معا بل وتساعدنا على تشكيل جمل جديدة وعديدة، وخاصة التفعيلة والشطر ثم البيت الشعري مع القصيدة تمشياً مع المعاني وحسب الغرض، وميزة هذه الطريقة أنها تنظم الخطوات التركيبية ربطاً منظماً، كل خطوة فيها تعتمد على خطوة سابقة لها ثم تعطينا صورة واضحة للتركيب الزمني الذي تتكون منه بنية العبارة [...] إن جهود قدامة هذه شبيهة بالقواعد التحويلية التوليدية عند اللغويين الغربيين اليوم"².

وقد أجاد عبد القاهر الجرجاني في تمييزه بين البنية العميقة والبنية السطحية "أياً إجادته، عندما جعل النظم، وهو ما يطلق عليه البنية العميقة في النظرية التوليدية التحويلية، جعله يقتضي في نظمه آثار المعاني، وترتبها على حسب المعاني في النفس"³.

¹ رمضان عبد التواب، "التراث العربي ومناهج الحديث في الدرس اللغوي"، ص 108.

² المرجع نفسه، ص 72-73.

³ المرجع نفسه، ص 36.

ويؤكد بهنساوي أساسية هذا الرأي بالقول "القواعد التحويلية، ودورها الهام في إلقاء الضوء على الأبنية السطحية النحوية المنطوقة، تلك القواعد الفاعلة، والتي تستعين في عملية التحويل للأبنية العميقة بالمكونات التركيبية، والدلالية، والفونولوجية، لم تكن هذه القواعد بعيدة عن إدراك عبد القاهر حيث عرضها في كتابه القيم دلائل الإعجاز وبين دورها الفعال في إلقاء الضوء على التراكيب النحوية"¹.

وتزيد إحدى الباحثات هذه الفكرة تأكيداً بقولها: "لقد أدرك علماؤنا، وعبد القاهر الجرجاني من بينهم على وجه التحديد حقيقة المستوى العميق للبنية اللغوية التي أول ما تقوم عليه هو مبدأ التعلق بين أجزاء الكلمة، يقابل ذلك ما قال به تشومسكي بالبنية العميقة ليؤكد كل منهما على وجوب امتلاك المتكلم مقدرة لغوية، يكتسبها عن طريق النحو تسمح له بإنشاء عبارات لا تنتهي لها عند تشومسكي، أما عند عبد القاهر الجرجاني فمقيدة بمعاني النحو القائمة على فروق ووجوه كثيرة للكلام يتحكم بصورها، مقدرة المتكلم وكفايته اللغوية. ويرى كلاهما أن الجملة التي تولدها القواعد النحوية يجب أن تكون مقبولة من أبناء اللغة"². وبكل ذلك يكون "الإدراك العقلي الممثل للمستوى العميق عند عبد القاهر يقابل مستوى البنية العميقة عند تشومسكي"³.

2.2.3 التحويل:

يقصد بالتحويل التغيرات التي تطرأ على الكلام بفعل المتكلم؛ فينقل البنيات العميقة إلى بنيات سطحية، والتحويل لا يمس المعنى بل هو تغييرات شكلية. ويبين محمد حماسة عبد الطيف مفهوم التحويل بأنه "تحويل جملة إلى أخرى أو تركيب إلى آخر والجملة المحولة عنها هي ما يعرف بالجملة الأصل -البنية العميقة- والقواعد التي تتحكم في تحويل الأصل هي "القواعد التحويلية" وهي قواعد تحذف بعض

¹ المرجع نفسه، ص43.

² هدى محمد صالح الحديثي، "جوانب من النظرية اللغوية العربية في ضوء الدراسات الحديثة"، ص53.

³ محمد عبد المطلب، "النحو بين عبد القاهر وتشومسكي"، ص34.

عناصر البنية العميقة أو تنقلها من موقع إلى موقع آخر، أو تحويلها إلى عناصر مختلفة، أو تضيف إليها عناصر جديدة وإحدى وظائفها الأساسية تحويل البنية العميقة الافتراضية التي تحتوي على معنى الجملة الأساسي إلى البنية السطحية الملموسة التي تجسد بناء الجملة وصيغتها النهائية"¹.

ويدعي التوليديون أن في النحو العربي القديم ما يقابل التحويل، فيرى "محمد حماسة عبداللطيف أن في النحو العربي ما يقترب من التحويل الحديث مصطلحا ومفهوما نوعا ما من الاقتراب، لكن كل مدلول منها تشكل حسب النظرية وسياقاتها وغايتها من التحليل اللغوي"²

ويمكن تقسيم القواعد التحويلية إلى:

قواعد اختيارية: مثل: تحويل المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول.

قواعد إجبارية : مثل: وضع الحركات على نهاية الكلمات المعربة في اللغة العربية³.

2.2.4 التفسير:

لم تكن فكرة التفسير كما جاءت في النظرية التوليدية "بعيدة عن إدراك عبد القاهر ووعيه، فقد نحا بقواعد اللغة منحى عقليا، شأنه في ذلك شأن النظرية التوليدية التحويلية مع رائدها "تشومسكي"، الذي يؤكد أن الشغل الشاغل هو تحديد صياغة القواعد اللغوية، التي تمثل ذلك النظام الذهني، فالقواعد -إذن- هي موضوع الدارسين والعلماء في هذه النظرية"⁴.

¹ محمد حماسة عبد اللطيف، من الأنماط التحويلية في النحو العربي، ص13.

² عصام الدين عبد السلام أبو الزلال، "أثر النظرية التوليدية في التراث اللغوي العربي المعاصر" ص250.

³ ينظر محمد خوالي، قواعد تحويلية للغة العربية، ص40.

⁴ حسام بمنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب، ص31.

2.2.5 التوليد:

تحدث عبد القاهر عن "التوليد" عندما تطرق إلى مسألة "النظم"، يقول رمضان عبد التواب "أما فكرة "التوليد" وإنتاج عدد غير متناه من الجمل، بناء على القواعد الراسخة في عقل الجماعة المتكلمة بلغة ما، فإنها فكرة لم تكن غائبة عن ذهن نحاة العربية القدامى. وهذا هو عبد القاهر الجرجاني، صاحب "نظرية النظم" المعروفة في التراث النقدي العربي، يقول: "وإذا عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة، ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها. ثم اعلم أن ليست المزيدة بواحدة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض"¹.

2.2.6 العامل:

تحضر نظرية العامل في المنهج التحويلي بصورة لا تبتعد كثيرا عن الصورة التي جاءت في النحو العربي²، حيث نجد تماثلا بين التعبيرات التي ترتبط بقضية العامل مثل تعبير وبين التعبيرات التي جاءت في النحو العربي الحديث عن العامل³.

وقد ظهرت هذه النظرية عند الخليل كما هي متداولة في النحو التوليدي التحويلي؛ فقد أدرك أهميتها قبل تشومسكي، وهذا رأي حسام البهنساوي. فقد اهتم النحاة، على حد زعمه، إلى إدراك قدرة التفاعل والتأثير بين مكونات التركيب النحوي بعضها مع بعض⁴. وكان الخليل "من أوائل النحاة الذين أدركوا فكرة العامل وأولاهها

¹ رمضان عبد التواب، التراث العربي ومناهج المحدثين، ص 107 - 108.

² المرجع نفسه، ص 149.

³ المرجع نفسه، ص 148.

⁴ المرجع نفسه، ص 58.

الأهمية والاعتبار، فقد جاءت هذه الفكرة -في أغلب الظن- من ملاحظاته ذلك التفاعل بين الحركات والحروف والحركات والكلمات، مما جعله يطمئن إلى أن هذه الظواهر اللغوية، سواء أكان منها ما يتصل بالبناء أم ما يتصل بحركات الكلام، ترجع إلى هذا التأثير الكامن في طبيعة الحروف والكلمات، والذي لا شك فيه أن نظرة الخليل إلى العامل كانت في ضوء تذوقه الحروف، ومراقبته الكلمات في ثنايا التأليف، وملاحظته التفاعلات اللغوية بين الأصوات والكلمات"¹.

وإذا كان تشومسكي قد فطن إلى أهمية العامل نتيجة لتطورات النماذج التوليدية فإن الخليل قد أدرك ذلك دون حاجة إلى تغيير أو تطوير، يقول حسام بهنساوي: "إذا كانت هذه النظرية وهي تمثل الكفاءة التوليدية المثلى، التي توصلت إليها النظرية التوليدية التحويلية، بعد جهد وعمل ومثابرة امتد إلى ما يقرب من ربع قرن. فجاءت نظرية العامل في نهاية المطاف لتكفل هذا الجهد وتلك المثابرة، فإن الخليل بن أحمد قد أدرك أهمية العامل وقدرته قبل ألف عام أو يزيد، وأنه أدرك أهميته منذ البداية في دراسته للأصوات، ومن ثم فإن تشومسكي وإن كان قد انتهى بنظرية العامل، فإن الخليل قد ابتدأ بها!² دون أن يكون في حاجة إلى تطوير أو تعديل.

2.2.7 القدرة:

كان عبد القاهر إلى مفهوم "القدرة" *Compétence* سباقا إلى إبراز المقصود بهذا المفهوم، وأدركه على وجه الدقة "إن القدرة اللغوية التي تمثلها الكفاءة الذاتية الكامنة، التي يمتلكها كل متكلم أو مستمع جيد للغة، والتي من شأنها أن تسمح لصاحبها بتوليد عبارات وجمل لا نهائية والتي تعد من أساسيات النظرية التوليدية التحويلية: لم تكن هذه القدرة اللغوية بخافية -كذلك- عن إدراك عبد القاهر، أو عن

¹ المرجع نفسه، ص58.

² حسام بهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي، ص60.

إدراكه لمدى أهميتها، فهو يقول: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه، التي تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منه"¹.

والفكرة نفسها يؤكددها محمد عبد المطلب، يقول: "يكاد عبد القاهر وتشومسكي يتفقان في أن المتكلم يمتلك قدرة لغوية -أتيحت له عن طريق النحو- تسمح بتوليد عبارات لا نهائية. ذلك أن معاني النحو -عند عبد القاهر- تقوم على فروق ووجوه ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، وكلها من إبداع صاحب اللغة، الذي يتوخى معاني النحو فيما يقول. وبالمثل رأى تشومسكي أن المنهج الرياضي الذي يؤكد ميكانيكية التركيب يساعد على وجود أنماط لا نهائية. وليست المسألة مجرد تلاحم بين الصيغ أو رصد كلمات، وإنما يجب أن نضع في الاعتبار دائما الصلات المعقدة، متجاوزة كانت أو غير متجاوزة"².

فالتماثل واضح بين ما جاء به الرجلان؛ فقد "كان هم تشومسكي موجهها إلى ربط اللغة بالجانب العقلي، في محاولة توفيقية لحل الإشكال نفسه الذي سبق أن واجهه عبد القاهر، وقد تبلور جهد كل منهما في إعطاء النحو إمكانات تركيبية مستمدة من قواعده العقلية، بحيث أصبحت هذه الإمكانيات أشبه شيء بصندوق مغلق، له مدخل ومخرج، تدخل فيه المفردات وتتفاعل، ثم تخرج على الصورة التأليفية، ونحن لا نلمس سوى المظهر المادي للعملية، أما الجانب العقلي فهو خفي داخل الصندوق"³.

¹ كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، ص 31.

² محمد عبد المطلب، النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، ص 34.

³ المرجع نفسه، ص 28.

2.2.8 قواعد إعادة الترتيب:

يشير محمد عبد المطلب إلى عناية العرب بهذه القواعد بالقول: "والحق أن العرب القدماء قد عنوا بهذه الظاهرة عناية بالغة، وأخذوا يحكمون القوانين التي تنظمها، فبحثوا قضية "التقديم والتأخير"، وتأثيرها على تركيب الجملة من حيث الأعمال أو الإلغاء، ومن حيث التغيير الدلالي، ونحن نذكر حديثهم عن وجوب تقديم الخبر، وعن وجوب تقديم المبتدأ، وعن جواز الأمرين. ونذكر تحليلهم (للتمييز) فيما يشبه الإشارة إلى البنية العميقة حين يعيدون التمييز إلى الفاعل في (واشتعل الرأس شيبا) أو المفعول في (وفجرنا الأرض عيونا). وأخذت القضية بعد ذلك حظها الوافر في الدرس البلاغي على أننا نجد عند سيبويه حديثا مبكرا عن تأثير التركيب في الجملة من ناحية معناها ومن ناحية أخرى"¹.

قضية التقديم والتأخير، قضية لها تأثيرها في التركيب وذلك من حيث الأعمال والإهمال والإلغاء، فنجد حديث النحاة القدامى عن وجوب تقديم الخبر ووجوب تقديم المبتدأ وجوازهما، كأنهم يشيرون إلى البنية العميقة، وكذلك حديثهم عن التمييز وأنه قد يكون محولا عن فاعل أو محولا عن مفعول به.

وقد عني الباحثون المعاصرون بقواعد الترتيب، فكانت من المواضيع التي دارت حولها كتاباتهم التوليدية في هذا الاتجاه التراثي، فنجد الراجحي يصرح بمعرفة النحاة القدامى لهذا المبدأ من مبادئ النحو التحويلي: "والحق أن العرب القدماء قد عنوا بهذه الظاهرة عناية بالغة، وأخذوا يحكمون القوانين التي تنظمها، فبحثوا قضية "التقديم والتأخير"، وتأثيرها على تركيب الجملة من حيث الأعمال أو الإلغاء، ومن حيث التغيير الدلالي"².

¹ المرجع نفسه، ص155.

² السيد أحمد علي محمد، اتجاهات معاصرة لدراسة النحو العربي، ص29.

وقد ضبط النحاة مبدأ التقديم والتأخير بعدة ضوابط منها¹: أمن اللبس، مراعاة المعنى، مراعاة الصناعة النحوية، تحقيق أغراض إبداعية.

ويقارب السيد أحمد علي محمد بين قواعد الترتيب عند النحاة العرب القدامى والتحويليين المحدثين، إذ يقول: "والحقيقة أن النحاة العرب عنوا بظاهرة إعادة الترتيب عناية فائقة، وبينوا القوانين التي تحكمها وهناك أمثلة كثيرة لهذه الظاهرة كالتقديم والتأخير، كما هو الحال في تقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المفعول على الفاعل، وتقديم الحال على صاحبها، كما تتبعوا بعض أنواع التمييز... كل هذا يدل على إحساس النحاة العرب للبنية العميقة، أو الأصل الذي كان عليه التركيب، والقواعد التي تحكم تحويل التراكيب من حالة كانت عليها إلى أخرى"². وهو يرى أن هذه "بعض مظاهر القواعد التحويلية التي استخدمت عند التحويليين التوليديين، وبيان مظاهرها في النحو العربي، ولو تتبعنا تلك القواعد التحويلية في النحو العربي فسنجد كثيرا من ظواهرها، ذكرها النحاة العرب في مؤلفاتهم بصورة أو بأخرى"³.

2.2.9 قواعد الحذف:

إن الطريقة التي يقدمها المنهج التحويلي في تفسير ظاهرة الحذف هي نفسها التي قدمها النحاة العرب، فقد "التفت النحاة القدماء إلى ظواهر الحذف ووضعوا لها قواعد مبنية على إدراك الاستعمال العربي، وليس على مجرد التقدير المتعسف"⁴.

يرى أحد الباحثين أن اللغويين العرب "قد استخدموا مبدأ التحويل بالحذف في معالجتهم هذه التراكيب (التراكيب المنطوقة التي تدخل على الجملتين الاسمية والفعلية

¹ المرجع نفسه، ص 225.

² المرجع نفسه، ص 29.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ محمد عبد المطلب، النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، ص 150.

(ليثبتوا صحتها النحوية باشتمالها على ركني الإسناد؛ لأن العنصر الواحد لا يكون مفيداً في رأيهم ¹).

كما أن النحاة العرب القدامى قد حصروا "أنماط الجملة العربية في نوعين، هما: الجملة الاسمية، والجملة الفعلية، ثم حاولوا إدراج كل التراكيب المنطوقة في إحدى النمطين السابقين، ووظفوا مبدأ التحويل في تحقيق ذلك، فمن الجمل التي حُذِف أحد طرفيها وجوبا عند النحاة الجملة الاسمية التي حُذِف منها المبتدأ والخبر، والجملة الفعلية التي خلت من المسند، نحو : تراكيب التحذير والإغراء والنداء والاختصاص، هي في رأيهم محولة عن بنية عميقة يتوفر فيها ركن الإسناد ².

وهم يزعمون أن البنية العميقة عند النحاة القدامى افتراضية بحتة لا تظهر إلى البنية السطحية أبداً، إلا للضرورة كالضرورات الشعرية، أو تكون البنية العميقة غير مستعملة فتأتي ضرورة إيضاحها فيلجأ النحاة إلى تقديرها لتوضيح المعنى ³. ويذهب التوليديون العرب إلى إن الحذف في المنهج التحويلي "ظاهرة مشتركة في اللغات الإنسانية، حيث يميل المتكلم إلى حذف العناصر المكررة، أو التي يمكن فهمها من السياق، والطريقة التي يقدمها المنهج التحويلي في تفسير ظاهرة الحذف هي التي قدمها النحو العربي.

2.2.10 قواعد الزيادة أو الإقحام:

ترد قواعد الزيادة والإقحام عند التوليديين كما وردت عند القدماء، يقول أحد الباحثين: "يشير التحويليون إلى أن هناك تركيبات نظامية تدخل فيها كلمات لا تدل على

¹ ابتهاج محمد البار، مظاهر نظرية التحويل عند تشومسكي في الدرس النحوي العربي، دراسة نظرية تحليلية، ص 217.

² المرجع نفسه، ص 217.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 218.

معنى في العمق، وإنما تفيد وظيفة تركيبية، وقد تعد لونا من ألوان الزخارف"¹. فالنحاة القدامى يقصدون بالزيادة كل ما يزداد في الكلام ولا يضيف معنى، بل يضيف فائدة تركيبية كالتوكيد وقوة الربط كالواو المقحمة وأحرف الجر الزائدة والضمائر الفصل وهم في حديثهم عن الزيادة والاقحام يقترب المعنى من البنية العميقة في النظرية التحويلية.

ويضيف الباحث نفسه: "عرض نحاة العربية لظاهرة "الزيادة" في الجملة، وأشاروا إلى أن ما يزداد في الكلام لا يضيف معنى، وخروج بعضه من الكلام كدخوله فيه، وإنما هو زيادة قد تضيف فائدة تركيبية كالتوكيد، أو قوة الربط، أو الفرق أو غير ذلك، وهكذا كان حديثهم عن الواو المقحم، وعن حروف الجر الزائدة، وعن ضمير الفصل، وعن زيادة (كان) أو (إن) أو (أن) أو (ما)"².

كما تناول الباحثون هذا المبدأ وتحدثوا عن الأصول النظرية له في النحو العربي وبينوا ضوابط التحويل بالزيادة وأجملوها فيما يأتي³:

- الزيادة لتحقيق غرض لغوي.
- الزيادة لتقوية المعنى الأساسي.
- الزيادة لتوضيح المعنى بعد الإبهام.
- الزيادة لنقل أصل المعنى من الألف إلى مستوى فني.

2.2.11 النحو والتركيب:

نقلت النظرية التوليدية منهج الدراسة اللغوية من دراسة اللغة إلى دراسة النحو، فقد ركز تشومسكي على اعتبار اللغة كيانا ذهنيًا، وهذا ما تنبه إليه الجرجاني بحسب عبد

¹ عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص153.

² المرجع نفسه، ص153.

³ ينظر: ابتهاج محمد البار، مظاهر نظرية التحويل عند تشومسكي في الدرس النحوي العربي، ص222-223.

المطلب الذي يرى أن "مفهوم النحو الجرجاني يأخذ شكلا عقليا -كما هو عند تشومسكي- وليس مجرد وسيلة اتصال تستعين بها اللغة في أداء وظيفتها الأساسية. وهذا الشكل العقلي هو الذي أتاح إمكان رصد الطاقات النحوية الفعالة، ولوجا إلى القيمة الحقيقية لعملية التوالد الجملي عند الرجلين، وإن كان تشومسكي قد بدأ بالجملة وصولا إلى المفرد، في حين بدأ عبد القاهر بالمفرد وصولا إلى الجملة"¹.

وعقد كريم زكي حسام الدين مماثلة واضحة بين علم التركيب *syntax* وعلم النحو، فقد "كان كتاب سيبويه حجر الأساس الذي قام عليه الدرس اللغوي العربي، وتحددت من خلاله معالم علوم اللغة، فعلم النحو عنده يعني علم التراكيب الذي يختص بدراسة القواعد التي تحكم بناء الجملة وتركيبها، والضوابط التي تضبط كل جزء منها، وعلاقة هذه الجزاء بعضها ببعض، وطريقة ربط هذه الجمل وأنواعها، وهذا النوع من الدرس يعرف في علم اللغة الحديث باسم *syntax*، أي دراسة بنية التراكيب *Structures* أو الجمل"².

واعتبر الأنطاكي البحوث النحوية العربية شاملة لجميع البحوث التي يطلق عليها الفرنجة اسم السنتكس³.

2.2.12 النحوية والمقبولية:

من المبادئ التي تنص عليها النظرية التوليدية ما يسميه تشومسكي "النحوية" و"المقبولية"، وهو ما يماثل عند سيبويه مفهوم "السليقة"، فاعتماد سيبويه على سليقة العربي السليمة هو اعتماد على كفاءة هذا العربي ومقدرته اللغوية الصحيحة، وتمثل هذه الكفاءة اللغوية المعرفة الضمنية لدى المتكلم بقواعد اللغة، والتي تتيح له إنتاج الجمل على النحو الذي نجده عند تشومسكي، وأن اعتماده على نطق الأعراب البدو دون

¹ عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص 33.

² كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، ص 24.

³ محمد الأنطاكي، فقه اللغة وخصائص العربية، ص 37.

سواهم، هو اعتماد على أدائهم الكلامي، واعتداده بقواعد هذا الكلام المنطوق والأداء
الفعلي الصحيح، يأتي هذا الاعتداد متفقاً مع ما حدده تشومسكي من قواعد الأداء اللغوي
أو الكلام المنطوق الذي يأتي متفقاً مع قواعد الكفاءة اللغوية، أو مختلفاً عنه¹.

¹ المرجع نفسه، ص53.

خلاصة:

ظهرت الكتابة التوليدية في الثقافة العربية المعاصرة بوجهين مختلفين؛ أحدهما حدثي والآخر تراثي. وقد ميزنا في الاتجاه الحدثي بين توجهين:

اتجاه حدثي ميزنا فيه بين رأيين مختلفين؛ يرى أحدهما أنه لا ضرورة تستدعي العودة إلى التراث اللغوي العربي، ويجد في الدرس اللساني الحديث ما يكفي لدراسة اللغة، ويرى ثانيهما أن دراسة اللغة العربية من منظور توليدي لا يمنع من الرجوع إلى التراث.

واتجاه تراثي إيديولوجي: يجمع بين التراث اللغوي العربي واللسانيات التوليدية اعتماداً على مسوغات مختلفة؛ وتقوم القراءة في هذا الاتجاه على إسقاطات ظاهرة في الجمع بين التراث اللغوي العربي واللسانيات التوليدية الحديثة كما بينا من خلال نصوص عديدة.

الفصل الثالث: التراث اللغوي العربي في الكتابة التوليدية: محاولة تقييم

- توطئة
- المبحث الأول: بحث في منطلقات القراءة وخلفياتها
- المبحث الثاني: المبحث الثاني: المنطلقات المنهجية
- خلاصة

توطئة:

لا أحد يمكنه أن يشكك اليوم في أهمية الدراسات اللسانية ومكانتها، وفي الوقت نفسه لا يمكن لأحد أن ينكر أهمية التراث اللغوي العربي وحضوره القوي، ولذلك لا بد من استحضار هذا في كل مقارنة بين اللسانيات والتراث اللغوي العربي، يقول عبد السلام المسدي: "إن مقولة التراث عند عامة المفكرين العرب تستند إلى مبدأ ثقافي منه تستقي شرعيتها وصلابتها في التأثير والتجاوز. وهي بهذا الاعتبار لحظة البدء في خلق الفكر العربي المعاصر والمتميز، فلا غرابة أن تعد قراءة التراث تأسيساً على أصول الماضي بما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء المكتسب"¹.

والسؤال الذي نطرحه هنا: هل نجحت تلك الكتابات في تبرير منطلقها في القراءة؟ وإلى أي حد توفقت منهجياً في ذلك؟

ما يميز الاتجاه الحداثي هو الوعي باختلاف منطلقات المدرسة التوليدية وخلفياتها عن التراث اللغوي العربي حتى وإن وجدت بعض وجوه الشبه. وهذا على عكس ما يراه أصحاب القراءة الإيديولوجية، الذين يتبنون قراءة إسقاطية بالأساس، وسنحاول هنا أن نعرض لبعض الملاحظات بخصوص التوجيهين معاً.

¹ عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص 25.

المبحث الأول: بحث في منطلقات القراءة وخلفياتها

عرضنا في الفصل الثاني من بحثنا لأصول النظرية التوليدية ومراحلها، وقد تبين لنا من خلال ما أشرنا إليه أن تشومسكي بنى نظريته على مجموعة من الخلفيات العلمية والفلسفية، وهذا ما يجعلنا نطرح السؤال الآتي: هل كانت هذه الخلفيات حاضرة في تفكير القدماء؟

لا شك أن القدماء قد انطلقوا من تصور علمي في دراساتهم وأبحاثهم¹، وهو تفكير محدود لأنه مشروط بالسياق التاريخي الذي ظهر فيه، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن نربط بين نظرات قديمة (التراث اللغوي العربي)، ونظرات حديثة (اللسانيات التوليدية).

إن السؤال الذي يطرح هنا: ما الفائدة التي يمكن أن نضيفها في مجال البحث العلمي عندما نقول إن سيبويه أو ابن جني أو الجرجاني... قد اهتموا إلى فكرة من الأفكار التوليدية قبل تشومسكي. لا شك أن ذلك يعد دليلاً يحسب للنظرية التوليدية لا لهؤلاء اللغويين.

ونتساءل من جهة أخرى: هل هناك ضرورة لرفض التراث اللغوي العربي جملة وتفصيلاً كما نجد عند الفاسي الفهري مثلاً؟

فقد عرضنا في الفصل السابق لأرائه، ورأينا أنه يحاول في كتاباته تطبيق مبادئ النظرية التوليدية التحويلية على اللغة العربية، وحجته في ذلك أن اللغة العربية تحتاج إلى دراسة جديدة؛ فهو يرى أن اللغة اليوم ليست هي تلك التي تناولها سيبويه بالدرس والتحليل، كما يرى عدم كفاية المعطيات اللغوية عند النحاة القدامى².

¹ انظر على سبيل المثال: حسن الملوخ، التفكير العلمي في النحو العربي.

² ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص 53 وص 61.

ولكن بالرجوع إلى كتابات الفاسي الفهري، ومنها كتابه "البناء الموازي"، مثلاً، نجده يتعمق في تناول قضايا مطروقة في الدراسات اللغوية التراثية؛ ومثال ذلك الضمائر والرتبة والبناء للمفعول...

لقد انطلق الفاسي الفهري في معالجته لهذه القضايا من برنامج المبادئ والوسائل الذي جعل اللسانيات ذات طبيعة مقارنة¹. وفي هذا السياق يؤكد أن اللغة العربية تلتقي مع لغات أخرى؛ إذ يقول: "ليست العربية كما يدعي بعض اللغويين العرب لغة متميزة تنفرد بخصائص لا توجد في لغات أخرى. ومن ثمة لا يمكن وصفها بالاعتماد على ما فى اللغة العربية بصفاتها لغة تنتمي إلى مجموعة اللغات الطبيعية وتتشرك معها في عدد من الخصائص الصوتية والتركيبية والدلالية وتضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات، وبصفاتها عربية تختص بمجموعة من الخصائص؛ أي لا توجد في كل اللغات وإنما توجد في بعض اللغات"².

وعلى الرغم من موقف الفاسي الفهري من التراث كما يظهر من قوله: "لا ضرورة منهجية ولا منطقية تفرض الرجوع إلى الفكر الماضي وتصنيفاته لمعالجة مادة معينة"³ فإننا نجده في دراساته وبحوثه قد "استفاد من تحليلات القدماء في مواضع كثيرة من ذلك مثلاً: فكرة التسوير، والمراقبة الوظيفية، وقيود التبئير، والبرهنة على صحة الرتبة (ف فا مف)، كما نشير إلى أنه أعاد النظر في الكثير من المعطيات المعروفة في النظرية التوليدية لتكييفها مع مرونة النسق في العربية، كما راجع بعض الثوابت في النحو العربي، كالتمييز بين الجمل الفعلية والجمل الاسمية، ليثبت وجود بنية واحدة فقط للجملة العربية هي بنية الجملة الفعلية، وهي ذات النمط (ف فا مف)، وهو التصور الذي حاول أن يبرهن عليه استناداً إلى مبادئ النظرية

¹ ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص283.

² الفاسي الفهري، "ملاحظات حول البحث في التركيب اللغوي"، ص284.

³ عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص52.

التوليدية، ويهدف التأكيد على أن اللغة العربية لغة طبيعية مثلها مثل اللغة الإنكليزية¹، ويرى إمكانية الاستئناس به أو الأخذ منه بشكل جزئي أو بصفة عامة².

ونجده في كتابه "اللسانيات واللغة العربية" -على سبيل المثال- كثيرا ما يستدل بأقوال النحاة؛ إذ يقول، مثلا، في مسألة العائد الوظيفي والعائد غير الوظيفي: "لقد كان جمهور النحاة واعيا بدلالة هذا الاختلاف... فهم يمايزون طبقتين من الأفعال: أفعال تدعى تامة مثل "جاء"، وأفعال ناقصة مثل "كان" الرابطة وما مائلها. وخلافا لما هو سائد في كتب النحو المتأخرة، فإن لائحة الأفعال الناقصة ليست مغلقة ولا محصورة في الأفعال المدعوة بأخوات "كان"³.

كما يستدل في معالجته لكثير من القضايا بأمثلة النحاة القدامى ويشير إلى ذلك في الهوامش ومن ذلك قوله: "هذا المثال مستخلص من الاسترابطي، ج2، ص290. وهو يدافع عن أطروحة اللائحة المفتوحة"⁴.

وكثيرا ما يحيل القارئ على كتب النحاة القدامى للاستدلال على ما يصل إليه؛ ومن ذلك استدلاله برأي الكوفيين، يقول: "يعتبر الكوفيون خبر "كان" ضربا من الحال في حين يرى البصريون أنه مفعول من نوع خاص، انظر التفاصيل في الإنصاف، المسألة 119"⁵. ويرى الرأي نفسه في مسألة أفعال المراقبة والفضلات الحملية، يقول: "تتضمن طبقة الأفعال الناقصة في النحو التقليدي لائحة من الأفعال لا اعترض عليها تعبر كلها عن معنى الصيرورة... ومن خصائص هذه الأفعال أن فضلتها الحملية دائما

¹ حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص291.

² عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ج2، ص61.

³ المرجع نفسه، ج2، ص31.

⁴ المرجع نفسه، ص31 (الهامش).

⁵ المرجع نفسه، ص30 (الهامش).

فعلية، والفعل دائما مضارع، ولا يجوز بالإضافة إلى هذا ظهور حرف مصدري بين الفعلين (شرح الكافية، ج2، ص305)¹.

وفي حديثه عن هندسة بنية الجملة العربية يقول: "فهذه الهندسة تجمل ببساطة إمكانات تنوع الرتبة التي أوردتها النحاة في الابتداء والاشتغال والتقديم والتأخير، وكذلك في كلامهم عن الصدارة والتصدير"².

وقد يظهر بعض التناقض فيما يذهب إليه الفاسي الفهري، لكن آراءه في الحقيقة منسجمة؛ وهذا ما يظهر من قوله "التراث في تصورنا إما معطيات اللغة الموصوفة، وإما مفاهيم وصفية أو أصول وتأملات، وعلى هذا نضطر إلى التفريق بين النسق الفكري وبين المعطيات"³.

فالتراث بحسب منظور الفاسي الفهري نسق فكري خلق في ظروف وبيئة مختلفة وزمن محدد، ومعطيات وإمكانات معينة، ولا يمكن أن نأخذ بها في زمننا هذا الذي يختلف كلياً مع ما سبق؛ لذلك فهو يرفض الأخذ بالنظرية التراثية بصورة كاملة، بينما يرى إمكانية الأخذ باللبنات المؤسسة للنظرية، وهو في هذا يسير على نهج تشومسكي الذي كان لا يستند إلى النظرية التراثية ككل، وإنما كان يستفيد من البنات المؤسسة لها.

وعلى الرغم من أن الفهري استند إلى بعض لبنات النظرية التراثية ومسائلها، إلا أن ذلك لم يمنعه من نقد تحاليل النحاة القدامى لبعض الظواهر اللغوية التي درسها، ومن ذلك:

■ ظاهرة التقديم والتأخير.

¹ المرجع نفسه، الهامش، ص38.

² المرجع نفسه، ص243.

³ المرجع نفسه، ص 60.

■ عمل النواسخ.

■ الاشتغال.

■ المفاهيم الفضفاضة.

■ باب التعليق.

■ المطابقة.

فالفاسي يرفض التلفيق على مستوى المنهج لا على مستوى المدونة، فعلى مستوى المدونة يدعو الفاسي إلى الاستناد إلى المقارنة بين مختلف اللغات للكشف عما يعرف في الأدبيات التّوليدية بالكليات اللّغوية، وله في ذلك دراسات عديدة أهمها: كتاب المقارنة والتخطيط. كما يرفض الفاسي الفهري المزج بين النظريّات الغربيّة والعربية فحسب، والمزج بين مختلف النظريات حتّى ولو كانت غربية، ولا يرجع سبب رفضه إلى الكفاية الوصفية للنماذج الغربية، بل السبب يكمن في كون الأنموذج عبارة عن بنية افتراضية متماسكة داخليا، فلا يصح أن نفسر بعضا من الظّاهرة بهذا الأنموذج وبعضها الآخر بنموذج آخر.

أما ميشال زكريا؛ فيعتمد في معالجته لقضايا اللغة العربية على المنظور التوليدي وعلى جهود النحاة العرب، ولذلك يعمد إلى تأصيل أفكاره في التراث اللغوي العربي، ويرى أن معالجة قضية من قضايا اللغة العربية من منظور توليدي لا ينبغي أن يكون بمعزل عن التراث اللغوي "وذلك لأن دراسة اللغة لا يمكن إتمامها بمعزل عن القضايا اللغوية التي أجاد القدماء وصفها وتحليلها"¹، وإن كانت العودة إلى قراءة التراث تتخذ أحيانا في بعض كتاباته طابعا إسقاطيا.

¹ المرجع نفسه، ص20، الهامش رقم 15.

لكن ما يثير الانتباه أن زكريا يشير في سياقات أخرى إلى قطع الصلة مع التراث وقد عبر زكريا بشكل واضح وصريح في سياقات مختلفة من كتاباته، ويرى أن البديل عن التراث هو النظريات اللسانية الحديثة، وتحديدًا النظرية التوليدية التي يمكن أن تشكل بديلاً موضوعياً، يقول: "لا نفع، بعد الآن، في أن نردد، بصورة متواصلة الدراسات التي قامت بها الأجيال السابقة والمفاهيم التي تبناها في المجالات اللغوية، وإن أضفنا عليها بعض التعديلات السطحية من حيث الشكل والعرض. فهذه الدراسات وإن دلت على المجهود الذي قام به اللغويون في مجال دراسة اللغة، وإن كانت تساعدنا على فهم بعض القضايا اللغوية، لم تعد تفي، في الحقيقة، في مجال تحليل اللغة. ففي هذا المجال تكون النظريات الألسنية العلمية الحديثة، في نظرنا، التقنية المتطورة التي تتسلح بها لسبر قضايا اللغة وتفسيرها وتوضيحها"¹.

فما يدعو إلى تجاوز التراث اللغوي العربي هو أن القضايا اللغوية التي يتناولها لم تعد تفي بالحاجة، وأن معطيات اللغة العربية الحالية، ليست هي المعطيات التي وصفها النحاة، لأن تحليلاتهم تجعل المعطيات الأكثر دلالة بالنسبة إلى افتراضات التوليديين غائبة، أو تشوهها أو تنكرها، وأن البديل هو اللسانيات الحديثة وكل توظيف لمعطيات النحو القديم في نحو اللغة الحالية، سيؤدي إلى خلط بين نسقين مختلفين².

أما بخصوص الاتجاه التراثي الإيديولوجي؛ فيمكن إجمال ما انتهى إليه أنصار هذا الاتجاه فيما يلي:

- يرى أنصار هذا الاتجاه أن النظريات والدراسات اللغوية مهما اختلفت تلتقي في كثير من المضامين؛ فهم يرون أنها تمثل نتاج العقل البشري الذي يهدف الوصول إلى قوانين عامة توطر اللغة وتحكمها.

¹ ميشال زكريا، الألسنية العربية، ص 05.

² المرجع نفسه، ص 60.

- يحاول الباحثون في هذا الاتجاه الجمع بين التراث اللغوي العربي واللسانيات التوليدية، على الرغم من اختلاف الإطار الفكري لكل منهما.
- أنه عند المقارنة بين أعلام الدرس اللساني الحديث واللغويين القدامى ينتج عن هذه المقارنة وجود نقاط اتفاق واختلاف، ولكن كثيرا ما يربطون بين المفاهيم وإن كانت المصطلحات تختلف.
- يعمم أصحاب هذا الاتجاه في تعريف المفاهيم، فقد ينسبون المفهوم إلى القدماء دون مراعاة الاختلافات بين النحاة القدامى والتوليديين المحدثين. كما أن بعض الباحثين يسيئون الفهم لبعض المفاهيم بسبب سوء الترجمة.
- لا يتجاوز الاتجاه التراثي لقراءة التراث القول على النصوص بما يخدم الأهداف التي يرمي إليها الباحث.
- يزعمون بأن قراءة التراث اللغوي في ضوء النظريات الحديثة، يقدم للغة العربية الكثير من التفسير والتسهيل والبعد عن التعقيد!.
- لا يهتم الباحثون في هذا الاتجاه بالفروق والحدود بين المناهج اللسانية؛ فقد يجمع الباحث بين منهجين وربما يتجاوز ذلك إلى ثلاث مناهج في العمل الواحد.
- ويمكننا القول إن أصحاب هذا الاتجاه يقيمون مقارباتهم على إسقاط واضح ومبالغة في التأويل، مع تغييب واضح للخلفية المعرفية للتراث اللغوي العربي واللسانيات التوليدية، واختلافهما موضوعا وغاية ومنهجا؛ فغاية الدراسات اللغوية عند العرب هي خدمة القرآن، وموضوع الدرس اللساني الحديث هو اللغة في ذاتها ولذاتها اعتمادا على مبادئ أحد المناهج اللسانية الحديثة وصفا كان أم توليديا أم وظيفيا لغاية دراستها دراسة علمية.

فإعادة قراءة التراث في هذا الاتجاه قائمة على تبني أحكام من مناهج الدرس الحديث، وإسقاطها على التراث اللغوي العربي؛ وهذا ما يتسبب في أحكام واستنتاجات عامة عادة ما ينتج عنها فهم خاطئ، ولذلك فإن القراءة الصحيحة "يجب أن تنطلق من أن الفكرين نمطان مختلفان، وعلينا بادئ ذي أن نؤكد اختيارنا لهذا النمط أو ذاك له دوافع علمية صرف. فتقديس مقولات الأقدمين موقف خاطئ أيضا. ذلك أن التأكيد على صحة مقولات الأقدمين أو مقولات المعاصرين يجب أن يكون دوما تأكيدا نسبيا، وإلا أصبح خطاب الباحث خطابا إيديولوجيا"¹.

المبحث الثاني: المنطلقات المنهجية

يلاحظ أن جل الكتابات المندرجة في إطار الكتابة التوليدية الإيديولوجية لا تقدم أي تصور للمنهج المتبع في القراءة، بل لكل باحث طريقته وأدواته التي يسير عليها في قراءته للتراث اللغوي العربي القديم في ضوء اللسانيات الحديثة².

قد ترتب على ذلك في كثير من الأحيان تعقيد وفهم خاطئ "أدى إلى تعقيد الأمر فقد فهم البعض أن التوليد -وهو مصطلح من مصطلحات مدرسة القواعد التوليدية- يعني إنشاء أنساق متنوعة من مجموعة ألفاظ محددة أو من بنية عميقة تعمل كأصل لتلك الجمل التي تكون فروعها لها، وهذا الفهم الخاطئ للتوليد قد يوحي (أو أنه أوحى) بشبه بين تشومسكي والجرجاني، فالجرجاني يتحدث أيضا عن الأساليب والأنساق المختلفة التي يمكن ردها إلى أصل واحد، والتي تؤدي معاني مختلفة تختلف بين النسق والنسق..."³.

¹ بوجمة الأخضر، قضايا المنهج في اللغة والأدب، ص 37.

² عبد القادر الفاسي الفهري بمشاركة نادية العمري: معجم المصطلحات اللسانية (إنجليزي-فرنسي-عربي)، ص 7.

³ مرتضى جواد الباقر، "مفهوم البنية العميقة بين تشومسكي والدرس النحوي العربي"، ص 20.

ومن المسلمات التي تتكرر في الكتابة التوليدية الإيديولوجية أن تشومسكي قد تأثر في نظريته وتكوينه اللغوي بالنحو العربي؛ إذ إن رسالته للماجستير كانت عن الصيغ الصرفية للغة العبرية؛ وقواعد اللغة العبرية ما هي إلا ترجمة لقواعد اللغة العربية، عمل اللغويون اليهود على ترجمتها في بلاد الأندلس¹، وأن اللغة العربية كانت تدرس بشكل رسمي في جامعة باريس في القرن الرابع عشر، وقد تأثر تشومسكي بمدرسة بور روابال وبفلسفة ديكرت وبهذا العديد من الباحثين رأيهم الذي يقضي بتأثر تشومسكي بالنحو العربي في بناء نظريته.

ويذهب أحد الباحثين إلى أن الظواهر اللغوية التي درسها تشومسكي في اللغة العبرية موجودة في الأصل في النحو العربي، وهذا هو السبب الرئيس الذي أوصل تشومسكي للعالمية؛ فـ"هذه الظواهر اللغوية معروفة لدى تشومسكي وطبقها على اللغة الإنجليزية. ووجد لها صدى مدويا في الآفاق في تلك الفترة الراكدة لغوياً فعمل على أحياء اللغة الإنجليزية، وأحدث زلزاله العربي فيها وأعاد بناءها من جديد من خلال الظواهر النحوية العربية الجديدة عليها. وذلك من خلال التقديم والتأخير والتأويل الذي لم يُعرف في النحو الإنجليزي من قبله وجاء به من البصرة نبأ يقين. فعمل على زلزلة النحو الإنجليزي القديم وطبق الظواهر النحوية العربية عليه؛ وسار على منواله كل لغويي العالم تقريباً عرباً وغير عرب"².

وهذا الموقف يتعارض مع موقف آخر يدعي فيه بعض الباحثين أن الغرب أهمل التراث اللغوي العربي ولم يطلع عليه، يقول المسدي: "الغرب قد أهمل التراث اللغوي عند العرب فلم ينقل منه شيئاً؛ وبذلك استلمت الأمم اللاتينية مشعل الحضارة الإنسانية

¹ تشومسكي في عيد ميلاده السبعين، حمزة المزيني. تقديم المترجم.

تشومسكي، آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، تشومسكي، تقديم المترجم.

² جاسم علي جاسم، تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي.

من العرب في كل ميادين المعرفة تقريبا إلا في التفكير اللغوي"¹. ويرى أن إهمال التراث اللغوي العربي يتسبب في قطع التسلسل التفكير اللساني عبر الحضارات الإنسانية ويفسر ذلك قوله: "أما النتيجة المبدئية التي آل إليها "نسيان" تراث العرب في اللغويات العامة فهي حصول قطع في تسلسل التفكير الألسني عبر الحضارات الإنسانية، فنهضت الحضارة الغربية على حصيلة التراث اليوناني، ولكن في معزل عن مستخلصات ثمانية قرون من مخاض التفكير اللغوي عند العرب"². ويضيف أن "أهل الغرب لو انتبهوا إلى نظرية العرب في اللغويات العامة عند نقلهم لعلومهم في فجر النهضة لكانت الألسنية المعاصرة على غير ما هي عليه اليوم، بل لعلها أدركت ما قد لا تدرکه إلا بعد أمد"³.

وقد رفض حمزة بن قبلان المزيبي هذا الموقف رفضا باتا؛ فهو يرى أن نظرية تشومسكي ثورة علمية في مجال الدراسات اللسانية، وأنه لا دليل على هذا الزعم، بل أن تشومسكي ذاته ينفي اطلاعه على التراث اللغوي العربي

وقد أولى المزيبي هذه المسألة أهمية كبيرة، فراسل تشومسكي في الموضوع نفسه، وحدثه عن تلك "الإشارات العربية" فيجيب تشومسكي في رسالة جوابية تاريخها 28 من مايو 1989م، "وتسألني عن تأثير النحو العربي التقليدي على منهجي في دراسة اللغة، عن أكثر الأقوال التي سمعتها صحيحة جزئيا، إلا التي تتعلق بفون همبولت الذي لم أطلع على دراساته إلا في الستينيات. فقد كان والدي من علماء النحو العبري في القرون الوسطى، وقد حقق الطبعة المعتمدة لكتاب النحو الذي ألفه ديفيد قمحي. وكنت مطلعا اطلاعا جيدا في أيام صباي المبكرة على أعمال أبي، كما أنني

¹ عبد السلام المسدي، الفكر العربي والألسنية، ص30-31.

² حمزة المزيبي، تشومسكي في عيد ميلاده السبعين، ص3.

³ عبد السلام المسدي، الفكر العربي والألسنية، ص30-31.

درست حينها شيئاً قليلاً من الدراسات التاريخية في نحو اللغات السامية، وكان أثر النحو العربي [على النحو العبري] عظيماً، وهذا أمر مشهور"¹.

ثم يؤكد تأثره بالنحو العبري والأنحاء التقليدية بقوله: "بل أن رسالة التخرج من الجامعة [البكالوريوس] ورسالة الماجستير اللتين أنجزتهما في جامعة بنسلفانيا عن الأنظمة الصوتية الصرفية للغة العبرية الحديثة كانتا متأثرتين بتلك الدراسات إلى درجة كبيرة، كما صممتا جزئياً من حيث النموذج على مفاهيم مأخوذة من اللسانيات السامية التاريخية والنحو التقليدي، وكانت هاتان الرسالتان أقدم النماذج للنحو التوليدي المعاصر، وإن لم تنشر إلا بعد سنين من تاريخ إنجازهما"².

ثم يتحدث عن دراسته للغة العربية عندما التحق بجامعة بنسلفانيا سنة 1945م فيقول: "بدأت مباشرة بدراسة اللغة العربية مع جورجيو ليفي ديلا فيدا الذي كان مستعرباً متميزاً جداً، ثم درست، بعد أن تقاعد ديلا فيدا، مع فرانز روزينثال. ومع روزينثال درست مادة اللغة العربية لفصل واحد، وكنت الطالب الوحيد في تلك المادة، ودرست معه فيها كتاب سيبويه، وربما كان هذا هو أساس الشائعة التي سمعتها [أي أن تشومسكي درس كتاب سيبويه وتأثر به]. وكان زيلك هاريس، الذي درست اللسانيات معه، أنجز أعماله الأساسية في اللسانيات التاريخية السامية، وكنت قد درست ما كتبه في هذا الموضوع أيضاً"³.

وفي سياق آخر يرد تشومسكي برسالة بعد توصله بنسخة من ترجمة كتاب "اللغة ومشكلات المعرفة" للمزيني قائلاً: "على الرغم من أنني كنت في فترة مبكرة من حياتي أعرف ما يكفي من اللغة العربية أستطيع به فهم ما ينشر في جريدة أو رواية (أما

¹ المرجع نفسه، ص38.

² المرجع نفسه، ص38.

³ المرجع نفسه، ص38.

دراستي الفعلية فقد كانت مقصورة على الشعر الجاهلي، والمؤلفات النحوية التي ألفت في القرن الثامن الميلادي، إلا أن ذلك كان قبل أربعين سنة خلت، أما الآن فإني لا أثق بمعرفتي [للعربية]. لكنني سوف أغير الكتاب (الترجمة) إلى أحد زملائي أو أصدقائي لقراءته"¹.

ثم يعود المزيني ليقر أن تأثر تشومسكي بالنحو العربي لا يعدو الاحتمال، ويفسر ذلك أنه "لو كان يعرف العربية معرفة تمكنه من فهم دقائق كتاب سيبويه لما كان من الممكن أن تضمحل إلى الدرجة التي يذكرها. بل أن من يعرف تشومسكي وأمانته ودقته في ذكر مصادره سيستغرب من عدم إشارته إلى كتاب سيبويه تحديداً، لو كان نقل عن سيبويه شيئاً محدداً في بناء نظريته"².

إن تشومسكي لا ينفي معرفته بالنحو العربي، لكن معرفته به وباللغة العربية بسيطة جداً، ولا تؤهله أن يبني نظرية مؤسسة على دراسات عميقة في هذه اللغة.

أما بالنسبة إلى المصطلحات، والمقارنة بينها، فيكفي أن نشير إلى أن "الجهاز المصطلحي لكل علم صورة مطابقة لبنية قياسية، متى فسد فسدت صورته واضمحل بنيته فيتداعى مضمونه بارتكاس مقولاته"³، وهذا ما يجعل كل قياس مبنياً على إسقاط واضح، ولذلك نجد الفاسي الفهري كان حذراً في هذه المسألة تحديداً، إذ يركز منهجه في وضعه للمصطلح اللساني على أمور ثلاثة هي:

1- عدم أخذ بالمصطلحات التراثية، حرصاً منه على ألا تختلط المفاهيم القديمة بالمفاهيم الجديدة حيث يقول: "حرصنا على ألا تختلط بالمفردات أو المصطلحات العربية المقترنة ببناءات تصويرية ومعرفية وثقافية وتقنية مغايرة ... خشية أن تختلط

¹ المرجع نفسه، ص 39.

² المرجع نفسه، ص 39.

³ عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص 52.

المفاهيم القديمة والجديدة، فنسقط في المعرفة القديمة ما لا يوجد فيها أو نحمل المعرفة الجديدة تمثلات قديمة"¹.

2- استناده إلى التوليدية بكثرة "لأن كثيرا من المصطلحات الغربية لم يسبق أن نقلت إلى العربية، وقد انفردنا بذلك في كثير من الأحيان"².

3- عدم الأخذ بالمشاع من المصطلحات، رغم اعترافه بأهمية مبدأ الأخذ بالمشاع، وذلك لقناعته بعدم كفايتها المعرفية"³.

¹ المرجع نفسه، ص7.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ المرجع نفسه، ص7.

خلاصة:

إن إعادة قراءة التراث يطرح إشكاليات لعل أهمها إشكالية هوية التراث اللغوي ومكانته من النظريات اللغوية الحديثة " إذا تناولنا مثلا المستوى النحوي لهذا التراث اللغوي، فإننا نعرف أنه يشكل منظومة مرجعية خاصة بالثقافة العربية الإسلامية القديمة. إنه نسق فكري وضع في فترة تاريخية محددة نتيجة عوامل معينة، وقام على أسس فكرية معينة باعتباره جزءا من بنية ثقافية عامة هي الثقافة العربية بمختلف مكوناتها الحضارية (فكرية واجتماعية ودينية وسياسية) غير أن تعدد القراءات يفقد التراث اللغوي العربي خصوصيته الحضارية، وذلك عندما نجعله قابلا لأن يصاغ حاضرا ومستقبلا في أي نظرية لسانية ممكنة اليوم وغدا. ما تنتهي إليه القراءة أنه كلما ظهرت نظرية لسانية جديدة فإن النحو العربي يكون قادرا على احتوائها"¹ ولهذا ليس من الممكن أن يكون النحو العربي بنيويا وتوليدا ووظيفيا في الوقت نفسه وذلك لاختلاف الأسس المنهجية² وبهذا تكون هذه القراءات لا تعدو كونها مجرد إسقاطات تسيئ إلى التراث اللغوي العربي وتخرجه من حدود النسبية المرتبطة بعوامل فكرية معينة إلى نطاق الشمولية المطلقة. فعندما نعمل القراءة إلى تأويل النصوص واستنتاجها في معزل عن سياقها الأصلي فهي قراءة "لا تنظر إلى المقروء كما هو في شموليته وكنيته ولحظاته التاريخية. إنها لا تهتم بالتراث إلا في إطار ما تستهدفه من وراء عملها ممارسة نوعا من الانتخاب والانتقاء ونزع النصوص من سياقها التاريخي، ثم إعادة زرعها في سياق جديد وإسقاطها على الماضي (إلى الوراء) وعلى المستقبل (إلى الأمام) عن التأويلات الحرفية أو الباطنية والمبالغة المعنوية"³.

¹ حافظ إسماعيلي علوي وأحمد الملاح، قضايا إستيمولوجية في اللسانيات، ص 281-282.

² المرجع نفسه، ص 282.

³ مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية والمنهجية، ص 27.

فهل يمكن للقراءة الإيديولوجية أن تعيد للتراث العربي مكانته بين هذه الدراسات وتجعل له بعدا حضاريا؟

نجد من الباحثين من يرد على مثل هذا التساؤل بأنه غير ممكن لأن القراءة لا تقتصر على إثبات الذات العربية الإسلامية بل تسعى لتضع التراث فوق اللسانيات نفسها، وهذا غير ممكن وذلك لاختلاف الأسس النظرية والمنهجية بين التفكيرين¹.

إن أصحاب الكتابة الإيديولوجية يقدمون "فهما عاما لمضامين النظرية اللسانية وإدراك غير واضح لها بسبب تداولهم إياها تداولاً حدسياً وتلقائياً في حالات عديدة مصادرها الفكرية والأسس النظرية والمنهجية التي تقوم عليها. إن ما تعتبره القراءة اللسانية مفاهيم بسيطة مثل مفهوم العامل، ومفهوم الحالة، ومفهوم البنية العميقة والبنية السطحية، ومفهوم التحويل، وغيرها من مفاهيم التوليدية هي في العمق غير ذلك. إن المفاهيم اللسانية الحديثة ترتبط في جوهرها بمبادئ منهجية على جانب كبير من التعقيد النظري باعتبارها جزءاً من شبكة الإشكالات المتداخلة"².

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص 149.

² حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص 28.

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على (التراث اللغوي واللسانيات التوليدية) في محاولة لبناء تصور أدق لقضية قراءة التراث اللغوي العربي، وذلك بفحص الكتابات الناتجة عن هذه القراءة، فتبين لنا بعد تتبع اتجاهات الكتابة التوليدية في الثقافة العربية، ومحاولة الكشف عن تجليات التقريب بين التراث اللغوي العربي والكتابات التوليدية في الثقافة العربية أن إشكالية التراث والحداثة في الكتابات التوليدية هي ذاتها إشكالية التراث والحداثة في الثقافة العربية بشكل عام، وأن تأويل النصوص يستمد قوته من التراث اللغوي العربي الذي يستمد قوته من النص القرآني .

ولن تكتمل الصورة دون اقتراح بعض النقاط التي يمكن أن تكون كفيلاً في بناء تصور جديد لقراءة التراث اللغوي العربي، وذلك بالبحث فيما خلف الكتابات التوليدية في الثقافة العربية، والأخذ من مصادر رئيسية بعيداً عن تلك الكتابات التي قدمت هذه النظرية بصورة نقدية للتراث بدلاً من أن تقدمها بصورة تمهيدية تعريفية. وذلك بهدف الوصول إلى فهم قراءة التراث فهماً دقيقاً وواضحاً، وذلك بالبعد عن تأويل النصوص واستنطاقها حسب الأهداف المرجوة من هذه القراءة، بل يجب أن يقوم هذا الفهم على التنظيم والتسلسل بعيداً عن الفوضى الحاصلة، والتنظير الذي يكشف عن حقيقة النظرية اللغوية في الثقافة العربية، ومن ثم تناول النصوص بتأويلها بعيداً عن الإسقاطات، وذلك أن التأويل يساعد التراث على الاستمرار والتجدد بما يناسب معطيات الحاضر، وبهذا نسعى إلى رسم تصور مستقبلي متجاوزين الوضع الراهن- لبعض قراءات التراث اللغوي العربي.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

- ابتهاج محمد البار، مظاهر نظرية التحويل عند تشومسكي في الدرس النحوي العربي، دراسة نظرية تحليلية، عالم الكتب الحديثة، أربد، الأردن، ط.1، 2014م.
- أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.10، 1973م.
- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط.6، 1988م.
- جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز، مطبعة الجليل، دمشق، سوريا، 1980م.
- جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار الفكر العربي، القاهرة، 1413هـ - 1993م.
- حافظ إسماعيلي علوي وامحمد الملاح، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، 2009م.
- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2010م.
- حافظ إسماعيلي علوي، من قضايا اللغة العربية في اتجاهات البحث اللساني الحديث، سلسلة أبحاث، كرسي المانع، جامعة الملك سعود، 2013م.

- حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ودار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 1430هـ-2009م.
- حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1994م..
- حسن الملح، التفكير العلمي في النحو العربي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2002م.
- خليل عمايرة، في نحو اللغة وتراكيبها؛ منهج وتطبيق، عالم المعرفة، العربية السعودية، ط1، 1984م.
- رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1406هـ-1985م.
- السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار محمد لاهور، 1302هـ.
- شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية، أبحاث للنشر والترجمة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.
- عادل فاخوري، اللسانيات التوليدية التحويلية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1988م.
- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط1، 1981.
- عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1997م.

- عبد السلام هارون، التراث العربي، مجلة الوعي الإسلامي، إصدار 80، الكويت، ط1، 2014م.
- عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، علم اللُّغة بين القديم والحديث، مطبعة الجبلاوي القاهرة، مصر، ط2، 1986م.
- عبد القادر الفاسي الفهري بمشاركة نادية العمري: معجم المصطلحات اللسانية (إنجليزي-فرنسي-عربي)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2009م.
- عبد القادر الفاسي الفهري، اللِّسانِيَّات واللُّغة العربيَّة، دار توبقال للنشر، الدَّار البيضاء، المغرب، ط1، 1985م.
- عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربي (نماذج تحليلية)، دار توبقال للنَّشر المغرب، ط2، 1999م.
- عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987م.
- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 1988م.
- علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1986م.
- كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة، وكالة الأهرام للتوزيع، مصر، ط1 القاهرة، 1985م.
- ليونز جون، نظرية تشومسكي اللغوية، تر: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط 1995.

- مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1987م.
- مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1988م.
- محمد الأنطاكي، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، سنة 1389-هـ 1969م..
- محمد الخولي، قواعد تحويلية للغة العربية، دار المريخ للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1981م.
- محمد حماسة عبد اللطيف، من الأنماط التحويلية في النحو العربي، من الأنماط التحويلية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1990م.
- محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.
- مرتضى جواد الباقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 2002م.
- مصطفى غلفان بمشاركة امحمد الملاح وحافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات التوليدية (من الأنموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى: مفاهيم وأمثلة)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010م.
- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة دراسة نقدية في الأسس النظرية والمنهجية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 4 جامعة الحسن الثاني، عين الشق، (د ت).

- أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، (د.ت).
- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1986.
- ميشال زكريا، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون، دراسة ألسنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1986م.
- ميشال زكريا، بحوث ألسنية عربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1992م.
- نعوم تشومسكي آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، تر: حمزة بن قبلان المزيني، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط 2005م.
- نعوم تشومسكي، اللغة والمسؤولية، تر: حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق ط2، 2005م.
- نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، دار البشير، ط1، 1987م.
- هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، منشورات ضفاف، بيروت لبنان، ودار الاختلاف، الجزائر، ودار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2015م.
- المجالات:

- جاسم علي جاسم، "تأثير النحو العربي في نظرية تشومسكي"، مجلة التراث العربي، سوريا، مج29، ع116، السنة 2009م.
- جاسم علي جاسم، وزيدان علي جاسم، "نظرية التقدير عند النحاة العرب والمسلمين وأثرها في نحاة الغرب المعاصرين تشومسكي مجدد النحو العربي"، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم -السعودية، مج3، ع1، السنة 2010م.
- خليل عمايرة، "البنية التحتية بين تشومسكي وعبدالقاهر الجرجاني"، مجلة الأقلام، العراق، س18، ع9، السنة 1983م.
- رمضان عبد التواب، "التراث العربي ومناهج المحدثين في الدرس اللغوي"، الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، لبنان، مج11، ع60، السنة 1990م.
- رمضان عبد التواب، "التراث العربي ومناهج المحدثين"، الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، لبنان، مج 11، ع60، 1990م.
- عبد الرحمن الحاج صالح، "مدخل إلى علم اللسان الحديث، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرّسي اللغة العربية"، مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، ع4، 1973-1974م.
- عبد السلام المسدي، "الفكر العربي والألسنية"، مجلة الأقلام، العراق، ع4، السنة 1979م.
- عبد الله أحمد جاد الكريم، "في الفكر البنيوي التحويلي في خصائص ابن جني"، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - الكويت، الحولية33، الرسالة365، السنة 2010م.

- عصام الدين عبد السلام أبو الزلال، "أثر النظرية التحويلية التوليدية في الدرس اللغوي العربي المعاصر : نماذج مختارة، مجلة فكر وإبداع، مصر، ج51، السنة 2009م.
- الفاسي الفهري، " ملاحظات حول الكتابة اللسانية، مجلة تكامل المعرفة، مجلة جمعية الفلسفة بالمغرب، الرباط، ع9، السنة 1984م.
- فكري محمد أحمد سليمان، "التقدير عند سيبويه والمنهج التحويلي"، ضمن كتاب فولفديترش فيشر، دراسات عربية وسامية مهداة من أصدقائه وتلاميذه بالجامعات المصرية، إشراف محمود فهمي حجازي، مركز اللغة العربية، جامعة القاهرة، 1994م
- محمد عبد المطلب، "النحو بين عبد القاهر وتشومسكي"، فصول، القاهرة، مج5، ع1، أكتوبر – ديسمبر، السنة، 1984م.
- محمد عبد المطلب، "النحو بين عبد القاهر وتشومسكي"، مجلة الفصول، ج5، ع1، تشرين الأول/أكتوبر-كانون الأول/ديسمبر 1984م.
- مختار درقاوي، "نظرية تشومسكي التحويلية التوليدية الأسس والمفاهيم"، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية الانسانية - الجزائر، ع13، 2015م.
- مرتضى جواد الباقر، "مفهوم البنية العميقة بين جومسكي والدرس النحوي العربي"، مجلة اللسان العربي، المغرب، ع34، السنة 1990م.
- منذر عياشي، "النظرية التوليدية ومناهج البحث عند تشومسكي"، الفكر العربي المعاصر، بيروت، ع40، أوت 1986.

- هدى محمد صالح الحديثي، "جوانب من النظرية اللغوية العربية في ضوء الدراسات الحديثة"، مجلة المجمع العلمي العراقي، العراق، مج48، ج1، السنة 2000م.
- هيام كريدية، "مكانة البحث اللغوي العربي القديم من علم اللغة الحديث"، مجلة الفكر العربي، بيروت، ع 8-9، 1979م.
- الرسائل والأطاريح الجامعية:
- ابن قادة نجاة، الجذور اللسانية العربية في اللسانيات الغربية، دراسة مقارنة بين الجرجاني وتشومسكي"، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، السنة 2014م.
- معالي هاشم أبو المعالي، الاتجاه التوفيقي بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، أطروحة لنيل الدكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، تشرين الأول، 2014م.